كانون الثاني ١٩٦٣

لعدد الثامن

السنة الخامسة



صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

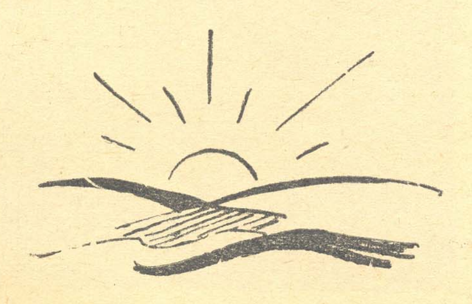
دمشق ـ ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١



الساعة التي تلتقي فيها جهود المخلصين تتمخض دائما عن المعجزات . وفي الوقت الذي يجتمع فيه وفاء محافظ حمص السيد مصطفى رام حمداني مع ايمان الاستاذ عبد المعين الملوحي رئيس المركز الثقافي في هذا الوقت لم يعد غريبا اذا ظهر المركز الثقافي في حمص هذا المظهر المشرف ، وليس غريبا بعد هذا ان تغص قاعاته بخيرة الشباب المثقف من ابناء مدينة ابن الوليد . فالى مثل هذا فليعمل العاملون .

أجل ! ان استعراضنا سريعا لما قدمه المركز في فترة حياته الاخيرة دليل قاطع على ما يبذله الانسانان الكريمان من جهود بعد ان احتلا في قلوب مواطنيهما أرفع المنزلة واسماها .

ونحن في هذه الكلمة المتواضعة لا يسعنا الا أن نتقدم بوافر تقديرنا لهذه الجهود الكريمة .



في المهرجان

... لم تكد تتوارى آخر خيوط النهار وأزفت الساعة السادسة حتى غصت قاعة المركز الثقافي بمدينة ابن الوليد بعدد كبير من رجال الفكر والادب والمثقفين



حامد حسن

والوجهاء ، وذلك بمناسبة اقامة المهرجان الشعري الرائع للشاعر العربي الكبير « أبي فراس الحمداني » .

هذا المهرجان الذي كان بحق تظاهرة ادبية فكرية فنية دلل على احدى خصائص شعبنا العربي النبيل الذي تجري في عروقه دماء اصيلة ، تحن للاصالة في الشعر ،

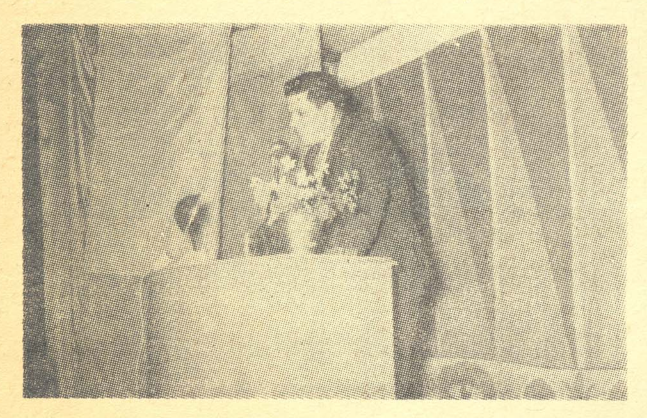


عبد الحفيظ السطلي

والاصالة في النبل ، والاصالة في الفروسية . ولا غرو ، فالشاعر المحتفى به كان اصيلا في الشعر ، اصيلا في النبل اصيلا في الفروسية .

ومدينة حمص ، التي لا تنكر فضل الاخيار الفضلاء ، قد جعلت هذا المهرجان الرائع تحت رعاية الانسان الفاضل الذي احبها من صميم جوارحه ، والذي احبته من صميم جوارحها ، ألا وهو محافظها القدير الطبيب السيد مصطفى رام حمداني .

ومدينة دمشق الخالدة ، التي لا تترك مناسبة جليلة ، وطنية كانت أم فكرية وفنية الا وتشارك فيها من اعماق جوانحها ، قد بعثت الى مدينة حمص الى مركز المهرجان ، سفيرا فكريا عرف بمواقفه الوطنية والفكرية



عبد الرحيم حصني

والفنية الا وهو الدكتور يوسف شقرا ، الامين العام لوزارة الثقافة والارشاد القومي . ولم يكد المحافظ والدكتور شقرا يدخلان الى القاعة ، حتى دوت القاعة بالتصفيق الحاد ، الامر الذي برهن على تقدير أهالي حمص للعاملين في حقول الفكر والفن والتوجيه .

وقد افتتح المهرجان الانسان الطيب عبد المعين الملوحي مدير المركز الثقافي بحمص ورحب بالمدعوين



وشكر لوزارة الثقافة والارشاد عنايتها ورعايتها للمهرجان وابتدأت الحفلة • وصعد الى المنبر الشاعر حامد حسن ، وقد القى قصيدته الرائعة في تحية الشاعر العربي الكبير (ابي فراس الحمداني) كما وحيا مدينة حلب الشهباء التي كان سيقام فيها المهرجان •

ثم اعتلى المنبر الاديب عبد الحفيظ السطلي والقى محاضرة قيمة عن حياة (ابي فراس) وشخصيته ، وفروسيته ، كما وقدم نموذجا رائعا من اشعار (ابي فراس) من الاشعار التي تعكس صورة حية عن مثل (ابي فراس) الاعلى في الحياة • ودوت القاعة بالتصفيق من جديد ، واشرأبت الاعناق نحو الشاعر الشاب عبد الرحيم الحصني الذي اعتلى المنبر وأنشد قصيدة العصماء في (ابي فراس) •



وبانتهاء هذه القصيدة ، انتهى البرنامج الادبي ، ليترك المجال للبرنامج الفني ، ليأخذ دوره في هذا المهرجان ويشنف آذان الجمهور بما يبعث السرور والنشوة في القلوب والارواح •



وهنا ، انشد الفنان (عبد الواحد الشاويش قصيدة (ابي فراس) (اراك عصي الدمع) بصوته الجميل الذي حلق بنفوس المستمعين الى ذرى الغبطة ،



وجعلها تسيل رقة ، وحبا ، وحنينا • وبعد ذلك ، قدمت فرقة مسرح حمص مشهدا مسرحيا بعنوان (احتضار ابي فراس) • وهذا العنوان مأخوذ من ديوان (الارواح الحائرة) للشاعر الحمصي المرحوم نسيب عريضة •



حديث

شاكر مصطفى

وهي الكلمة التي القاها سعادة قنصل الجمهورية السورية العام الدكتور شاكر مصطفى في المأدبة الاكرامية التي اقامتها على شرفه وشرف زميله العقيد يوسف شكور الاندية والجمعيات السورية في بهو النادي الحمصي الكبير في ١٨ ايار وهي قطعة بيانية من الطراز الممتاز تدل على ثقافة موشي بردتها العالية ومقدرته على نظم الكلام وسبكه بهذا الاسلوب الخلاب الذي يستهوي السامع ويثير اعجابه :

● يا اخوة لم تلدهم امي

يا احبة ، كل حبيب فيهم غال أثير !

اتذكرون قصة النرجسه ؟ في الاسطورة اليونانية ان هذه الزهرة الخجول كانت في عهد الآلهة الاولى فتى لا أجمل ولا اقوى . يهزج المرج اذ يراه وتتلفت الحجارة ! والغـاب ـ يا للغاب كما هتف نارسيس ! نارسيس ليحظى منه بنظرة فاتنة .

وازدهى العجب نارسيس . ملأه الغرور . مرده الكبر حتى غضبت الآلهة اذن فلا بد ان تطامن من عجبه والغرور والكبر !

● وذات يوم بينما كان الفتى يطل على الغدير ليشرب ، صفا الماء ثم صفا حتى غدا المرآة اللجين . وبهر الفتى ما رأى من جمال قسماته . فأقبل يتـأمل ذاته الفم والعين والخـد والهدب وانسكاب العنق ، ومضت اللحظات ثم الايام ثم الشهور الطوال وهو حاني الرأس ، جامد هناك يتأمل .... وتفقده الرعاة يوما عند الغدير فلم يجدوه وانما وجدوا مكانه نرجسـة حانية الرأس تتأمل صورتها في ماء الغدير .

● يا اخوتي !

اني لارجو أن لا اكون نارسيس الآخر ! أرجو أن أنسى هذا الثناء السخي الغدق الذي اشكره اعمق الشكر وأخلصه والذي رفعني ثم رفعني حتى أرعبني النظر من عل الى أرضي والى الطين الحقيقي الذي أنا منه ! أرجو أن أنساه لئلا يجمد الغرور في مقلتي ، ولاكون في الآتي من عمري وجهدي في مستوى ذلك الثناء السخي الغدق .

● على أنني لن أنسى ولن اسـتطيع ان انسى حبيب العواطف التي اوحت بذلك الثناء ، ولا عـين الرضا والود التي عقدت هذه الامسية ولا المشـاعر الوطنية الفياضة التي صاغت هذا التكريم مائدة وحضورا وكلمات عذابا فصاحا ! نعم لن انسى لاني اعرف مـاذا يعني هذا الاطار من الزهر والطيب والحب الـذي وضعتموني فيه .

● اني لاعرفه هذا الطعام . انه الخبز والملح أردتم أن يكون بيني وبينكم عهدا من الود الصميم يصوغه الخبز والملح .

● واني لاعرفها هذه الخمر . أعرفها فما هي بابنة العنقود والكرام ولكنها ذوب العواطف الرقراق ، تشع في الكؤوس والاعين .

● واني لاعرفها هذه الازهار التي تنتثر كرمـا وحبا حولي وعلى الموائد . انها العاطفة القومية وانهـا عناق الجذور والدماء التي عتقت في أديم الوطن بيني وبينكم الفا بعد الف والف من السنين ...

● لمملوا هذا الخوان على خبزه والملح ، واعيدوا الى الدنان هذه الخمر ، ذوب الحنين ، واتركوا الزهر لامة الارض ، فلست ولستم في حاجة الى شيء من هذا ولا ذاك لاعـر فكموتعرفون . خبزناوملحناوخمرنا والزهر كلها قديمة . قديمة بيننا عتقتها في الوطـن العصور حتى لتفنى العصور ! الستم تحسونها كمـا أحسها في دمي ، سكرة وحبا وهزة مجد اصيل تليد؟

● انكم لترون بي ، كما أرى بكم ، ملامح وطننا

البعيد وشميم ذلك التراب القدسي • ما رآني احدكم الا وكانت له الف سفرة على ألف فلك ووهم الى الحمى، الى حيث العيون ، كالبحر الاخضر على السفوح والثلج ، كالظهيرة اللامعة في الذرى والنجوم ، نجمة نجمة ، ترتمي على عري الرمال ولا رأيت واحدا منكم الا ورأيت فيه ابي الذي تدب الدمعة في عينيه لذكري وأمي التي تبعث بدعائها الحنون ورائي من بلد الى بلد واخوة •• كزغب القطا ، واقرباء تدور عيونهم وقلوبهم معي حيث أدور !

● ليلة وصلت ما عجبت ان رأيتني أدخل في نطاق من العيون والأذرع والضلوع المرحبة ، بعد أن طال طرقي على الوجوه المغلقة ، طول الطريق وفي كل غربة •

● تكريمي هذا انما بدأ تلك الليلة • بل لقد بدأ يوم اختارتني بلادي لكم انتم شطرها البعيد • فأنا أعيش هذا التكريم كل يوم ، اهدابا تطفح بالود وأيديا تشد على يدي ، وكلمات كألف ربيع تغمر كياني • لقد كنتم دوما مع سورية الغالية وكانت هي معكم دوما • كنتم تحملون بين الشغاف والقلب ميماسها وصحراءها ألمها وأفراحها ، رملها والسخي السخي من افيائها قبل ميسلون وبعدها ويوم استقلت ثم يوم اختارت الوحدة ثم يوم آثرت معاودة حياتها الدولية من جديد •••

● كل زخم العاطفة التي ادخرتها لترابكم ولاهل ذلك التراب احقابا اهديتمونيه لبنانيين وسوريين ، على السواء • كل حرارة الحنين والاخوة التي تربط لبنان بسورية وسورية بلبنان أفرغتموها معا عند يدي وصدري منذ وصلت • والمترف المترف من فرحكم باسم سورية يعود اليكم جئتموني به نابضا نبيلا يسعى !

● ان حصاد أجيال من المحبة ومن الحنين ومن الولاء القومي هذا الذي جمعته ببادري واحتوته دناني الى اليوم ودون حق •••

واني لأعترف ان كل تحية حلوة كنت اتلقاها منكم كانت ترتسم عند جبيني واجبا ، وكل همسة ود كانت تتصور لي دعوة للعمل ••• أعترف بلى ؟ فاني أري كل يوم واجبي بينكم يزداد وضوحا ورسالتي أمامكم تزداد الحاحا وصليبي بكل اثقاله ومساميره يزداد ثقلا !••• انكم وان لم تريدوا او تعلموا انما تطلبون مني الكثير الكثير !

في قصائد طاغور شاعر الهند الاكبر ، يقول العاشق لفتاته :

انا قانع بنفحة من ذلك الطيب الذي يضمخ نهديك !

فتقول الحبيبة :

أنا أعرف أيها السائل المتواضع ! انك تطلب كل ما عندي !

ويعود فيقول :

حسبي ومضة رضى تلمع بين عينيك والثغر

فتقول هي :

أنا أعرف ايها السائل المتواضع ، انك تطلب كل ما عندي

ثم يعود فيقول ، تكفيني زهرة من هذه الزهرات التي تنام في شعرك !

فتقول : أنا أعرف أيها السائل المتواضع ! انك تطلب كل ما عندي !

● وأنا بدوري ايها الاخوة اعرف مهما قنعتم انكم تطلبون كل ما عندي ! حبا وكرامة • فهذا قلبي • أتتصورون أنه يمكن أن يحبس عنكم حبا ؟ وهذه يدي ، أفي وسعها أبدا أن تدخر عنكم جهدا ؟

● لقد ارسلتني بلادي اليكم •• ومنذ زمن كنت أحمل الرسالة في صدري ولو قالوا لي : انك في المجال السخي الرحب والمجال السخي الرحب يتحدى الاحلام ويغري بالمغامرة و الانتاج • لقد صدقوا واني لاشهد ان على أيدينا الكثير مما نعمل معا ومما نبني حجرا حجرا معا • منكم التقطت المشروعات التي تضج في خاطري : المدرسة الكبرى ، اتحاد الجمعيات ، الجريدة ووكالة الانباء والسياحة ، التبادل التجاري ••• هذه الخطوط في جبيني أنتم اوحيتم بها الى : آلاؤها منكم ، ونجحها منكم ، وفيض نعمائها منكم • ام تحبون العاجلة والآخرة خير وابقى ؟ هذه يدي مع أيديكم لها فهاتوا حقاق الطيب • لقد كان العرب القدماء اذا ما اتفقوا

لخير افرغوا ما لديهم من عطر وطيب في الجفنة الكبيرة ثم غمسوا ايديهم فيها فلا فكاك للحلف !... هاتوا اذن حقاق الطيب وهاتوا الايدي لبنانية وسورية فكلها عند الاخاء العربي سواء . ولين تمام تكريمكم لنا وللوطن الغالي أن يكون هذا الحفل يوم العمل الاول... واذا كانت ايام العمل الستة مرهقة قاسية فماذا يهم ؟ اليس وراءها فرح السبت وراحته الاولى الكبرى ؟

وشرطي الوحيد، عند الخطوة الاولى، أن تثقوا من أنفسكم لا كأفراد فما أقمتم وشدتم وأثلتم، هو روعة الثقة الفردية، وقمة الجهد الشخصي المنتج ولكن كمجموع عربي مبدع وكفرع لمجموع عربي مبدع ؟ لا يضحك من كانت شفاهه من ذهب ولكن من كان قلبه ! ولا يبني من كانت يده وحدها تبني ولكن من كانت يده مع الجماعة، فان ثمة يد الله . ان مثقال الذرة من الايمان هو الذي تبحثون عنه ثم تبحثون ! وانها لبينكم وفيكم هذه الذرة من الايمان ...

لو ازحتم كثافة المادة والركض اليومي لابصرتم الفرح العميق، التفاؤل الربيعي الذي وهبتموه وما تزالون تهبونه بغربتكم هذه للوطن الاول انتم تفاؤل امتي وبلدي على الآفاق البعيدة . انتم ايمانه بأن في الامكان ابدع مما كان، وبأن وراء الافق جنة اخرى اكثر مراعا، وفي الغد غدا اكثر نعمى !

وبأن في أرض بلادي بعد نسغا ونبضا ورسالة التاريخ !

لولا التفاؤل والدفقة المبدعة في هذه الشرايين ما خطوتم الخطوة الاولى ولا ضرب وجه البحر بكم مجداف أو شراع ولقد جاء كل فرد منكم كالنسر عين تبحث عن الطعام واخرى تغازل القمم ! جئتم فرادى . ما قدمتم بمواكب كمواكب الظفر الروماني : عربة تصهل وهتافات تجرح الحناجر وغيد تفرش الطريق بورق الورد ولقد قابلكم كره كالقار المسعور ملأ كأسكم بالوحل وجعل مزاجها دما ودمعا وشيئا من علقم كثير وبالرغم من كل ذلك فقد زرعتم قمحا وصنعتم خبزا وخمرا وأقمتم جسدا سويا وما انتصرتم وارتفعتم فوق الوحل والعاصفة بأنفسكم فقط . ولكن بما كنتم تحملون، علمتم أم لم تعلموا، من التراث العربي العريق قولوا لي : هنا وقعنا على الشوك . هنا حملنا الكشه . وهذا هو الحبل الذي نمنا عليه ليالي وليالي وهذا هو الذي رمانا . بحجر لأقبل الكتف الدامية والحبل المهترىء وذلك الحجر . فمن هنا من الكتف والحبل والحجر في أقصى الارض عاد الينا في الوطن الكثير من ثقتنا بأنفسنا وبالغد .

ولقد كنتم ها هنا طليعة النهضة العربية . كنتم ارناءة شعب شهيد في العصر التركي او الفرنسي نحو الحرية والابداع .

كنتم النور الاول الذي ارسله الوطن الى البعيد البعيد ليتفتح مخافة ان يسحقه الصقيع والظلام . حين رحلتم كان حتى الشوك في بلادنا يضطرم بالنسغ وحتى رمل الصحراء ! والموجة التي القتكم على هذه الشواطىء القتكم عن غنى لا عن فقر، حملتكم طلائع موسم لا نهاية مطاف ! لقد وصلتم عيونا كقناديل من نار سوداء وزنودا كالصخور الضخمة التي تشيل القمم وعزيمة أقوى من الفرح الذي يغمر الارض في الربيع . ولقد بنيتم وابدعتم حتى لكبار الرجال هناك في الوطن تلاميذ ومريدون لما ها هنا تبنون وتبدعون .

ولقد اكدتم – شئتم ام لم تشاءوا – خلود العبقرية العربية بابداعها المتجدد ورسالتها في الخير الانساني . ما جئتم ها هنا تتسكعون تحت الكشة الثقيلة ولكن جئتم تعطون حضارة وقيما . حملكم الثقيل انما كان ما على صدوركم من رسالة الخير والسلام والتمدن للناس لا ما على كاهلكم من أقمشة . ان ترابنا العريق حين ضاق بما يتفجر فيه من الفاعليات اطلقكم شهودا مبدعين في اركان الارض الاربعة : من الدغل الافريقي الى المجهول الامازوني الى سد الصين العظيم وفي أنفسكم مجد من خمسة آلاف سنة لقد كانت الدنيا جميعا تأتي أرضنا لتقتبس من انسانيتها وحضارتها فلما انقطعت عنا انطلقنا نحن اليها نغذوها اضلاعنا وابناءنا ودمنا الحار

من جديد ! أوليس هذا هو المعنى السامي العميق في الاغتراب العربي •

أليس بين عمل محمد والمسيح وعمل المغترب منا كسب انساني لو كشف النسب انا انما ننطلق في الدنيا ، عن عالميه في روحنا وعن انسانية فينا تسع العالم كله تلك رسالة العروبة انا حين غزونا الدنيا بالفكر اعطيناها الحرف والابجدية الاولى والدهر وليد ، وحين غزونا الدنيا بالروح اعطيناها التوحيد كلمة الله العليا فما بعدها كلمة ! وحين غزونا الدنيا بالقوة • فبحر الظلمات بعض حدودنا وارض الهند والفرس عند قسطاسنا المبين •

وانتم ها هنا ورثة ذلك التراث العربي الطويل • القيم الانسانية ملء أيديكم والجنان والجبين • كل فرد فيكم فانما وراءه في التاريخ بعلبك والحمراء ، وعيسى ومحمد وحرف الهجاء ولفظة التوحيد وعلم الفلك والكيمياء يكفي أن يمد احدكم يده الى الماضي القريب لتلامس يد اسلافه العظام وما هذا بالخيال ولكنه الواقع الحي ! لستم كالترك كل ما لهم في التاريخ أهرام جماجم وينابيع دم وحريق ، ولا كالزنج كل حضارتهم مرة واحدة كعود الكبريت ثم لم تعد تشتعل ابدا • ان التاريخ العربي يجر وراءه سبع حضارات متتابعة في مدى خمسة آلاف سنة ما الابداع فقط هو الذي يعطي العرب قيمتهم العالمية ولكن تكرر الابداع ايضا على الدهر •

وانتم مدعوون لان ترسوا في القارة الجديدةقيمكم العربية التليدة لان تعرضوا فيها ذاتكم وحضارتكم الانسانية لان تكونوا انتم وما ادعوكم للانفصال عن المجتمع البرازيلي وهو يأخذكم من كل جانب فيصبغ من يصبغ ويذيب من يذيب لست من قصر النظر بحيث ادعو الى المقاومة والرفض وقد بنيتم على هذه السفوح والشواطىء كل ما عندكم • ولكن أليس فيخضم الالوان الحضارية التي تتكون على قارة الامازون من مكان للون العربي ؟ ان القيثارة لتغني بكثرة ما بها من أوتار• أيعيبها أن يكون لكل وتر لحنه الخاص ؟ وفيالسمفونية ألف وتر وبوق يهتز ويرجع • أيمزق اللحن أن ينطلق في أجوائه الف وتر وبوق ؟

وما دعوت اذ أدعو الا لتكونوا اللون العربي البين في اللوحة ، ان تكونوا الوتر المرن في قيثارة البرازيل واشجى اللحون في سمفونيتها المقبلة •

من هذه الحقائق انطلق وتنطلقون للعمل المبدع المنتج فهاتوا اذن حقائق الطيب ! نغمس الايدي في الطيب •

وبعد

ان كلمة الشكر لتعجزني • أجدني ابلغ ما اكون الا أمامها فانها تتحداني وتبهت دوما أمام ما أحس في صدري • اني لارجو أن يكون حسن عملي ، في القريب ، خير شكران لعواطفكم الحارة • فاذا ذهبت عنكم يوما وعدت الى أبي وأهلي وترابي فانما أرجو أن يقول الصديق لصديقه وهو يحاوره : لقد كان لنا ولقد كان أخا وصديقا !

انها حسبي هذه الكلمة ! فما اشتهي بعدها تكريما أعذب ولا اغلى •

شاكر مصطفى

قريباً :

عرائس الشاطىء

للشاعر

محمد عباس



حدثيني عن ماضيات العصور ... وابعثي في موحيات السرور

لا تقولي ان المشيب دهاني ... وزواني في خفة وحبور

شاب رأسي ، وشب عقلي وقلبي ... وخيالي يرود جو النسور

لا ابالي ما اخلق الدهر مني ... وهو يبلي ما شاء غير شعوري

* * * *

حدثيني صحراء انت سجل ... لم تنل منه كالحات الدهور

ان بغداد لم تزل موئل السحر ... ومغنى الالهام والتعبير

منزل الذكريات من كل عصر ... عبق الجو والثرى بالعطور

ايهذا التاريخ هذا مقام ... كتبت فيه رائعات السطور

كل سطر بأحرف النور حال ... ضاء للناس ظلمة الديجور

سار شرقا وسار غربا واولى ... نعمة النور في مداه الكبير

* * * *

ان دنياك بالحياة تنادت ... وتعالت اصواتها بالهدير

عالم مبصر يفكر بالنجم ... ويرتاده بعقل جسور

صانع ماهر يدبر ما شاء ... ويبني بالرأي والتدبير

صائغ جامع الخيال طروب ... جعل الظل ضاحكا في النحور

راقه الفن في القلائد لكن ... شاقه السحر في العيون الحور

فهو بالفن والعيون معنى ... ليس يصحو من نشوة التفتير

حاكم عادل يقلب امرا ... فهو والحق في صباح منير

شاعر ثائر يرتل آي الفتح جهرا ... وفي طوايا الضمير

سندباد يرود برا وبحرا   هازئا بالمنون عبر البحور

عابد زاهد يرى العيش ظلا   ويرى الله ناظرا في الصدور

فيلسوف يجتاز دنيا الاماني   ويرى الارض في اطار صغير

ليس ينساق في سبيل سوى الحق   ويرضى بالحق والتفكير

* * * *

يا ليالي بغداد كم يتمنى الـفجر   شيئا من حظك الموفور

ابدا يحلم الصباح بكأس   او بنجوى من تمتمات المدير

شرب الناس كلهم من مغانيك   كؤوسا موارة بالعبير

ورنا عبقر اليك وخفت   من حواشيه مخطفات الخصور

يتخاطفن من لياليك سحرا   ثم ينثرنه شذى للزهور

فهو لهو وطلمسات وشجو   مورق حيث حل شأن البذور

ان اسحق ساحر الليل غنى   فالغواني كحائمات الطيور

ما تراهن باقة في الدياجي   يتحلقن حوله كالبدور

قد سمعنا وقد رأينا كثيرا   ومررنا في عمرنا بالعطور

نحن ابناء امة تعرف الحق   يقينا لا تمتري بالقشور

ومن الحق ان نعيش كراما   لا نداري على امتهان وزور

قد شبعنا تخلفا وانتظارا :   امتي اسرعي الى النور ، طيري

وجناحاك وحدة واتحاد   وانطلاق الى كبار الامور

لن تكوني بغير شمل جميع   لن تنالي غير الونى والقصور

أرأيت الامجاد كيف اشمخرت   حينما كنت وحدة في النفير

وتقلبت في اللظى والدنايا   حين امعنت في الفراق النكير

* * * *

كل شر الى اختفاء ولا بد لقومي   من وحدة وظهور

فلقد اشرق الصباح يقينا   ونضا الفجر حالك الديجور

حسني فريز

هدية ما تزال وعداً..

بقلم: عيسى الناعوري

كان ذلك في القرية منذ سنين عديدة .. منذعشرين أو أكثر من الاعوام ، لا أذكر عددها بدقة ، كل ما أذكره أنني حينذاك صغيرا ، دون المراهقة بقليل ، أو لعل مراهقتي كانت مبكرة عن أوانها . وكانت أبنة عمتي في مثل سني أو أكبر قليلا ، لعلنا كنا في سن بين الحادية عشرة والثالثة عشرة .

كان اسمها (خضرا) ، وكانت جميلة على الرغم من أن قامتها تميل الى القصر ، وكان جسمها أميل الى البدانة وان لم يكن بدينا ، كان وجهها المستدير الصغير أبيض بضا ناعما ، كأن القرية لم تستطع أن تطبع عليه شيئا من خشونتها وقسوتها ، ومن غبارها وشمسها الحارة . وكانت لها غمازتان ساحرتان ، تبتسمان أبدا حتى لو كانت حزينة أو باكية . وكان فمها صغيرا ضيقا كخاتم الخطوبة ، وأنفها صغيرا دقيقا ، وجبينها الناصع المشرق يبدو عريضا ، على الرغم من ضيقه ، تحت شعرها الكستنائي المشدود الى الخلف في ضفيرتين طويلتين كثيفتين ، تنتهيان بقرمولين مجدولين من شعر الغنم الاسود ، وتتدليان متماسكتين عند أسفلهما حتى منتصف ظهرها . وهي تزهى ككل الحسان من بنات القرى بضفيرتيها الطويلتين الجز لتين اللتين كانت ترعى كثافتهما وتحافظ عليهما بأن تغسلهما مرة كل اسبوع ببول أناث الغنم أو البقر ، لان في القريةاعتقادا بأن بول الاناث من الغنم أو البقر في الصباح الباكر يزيد ن طول الشعر ، ومتانته ، وجزالته ، ويسرع في نموه .

أما عينا خضرا فكانتا زرقاوين واسعتين ، طويلتي الاهداب ، تنعكس عليهما ابتسامة غمازتيها فتتألقان في اشراقة ساحرة . فاذا انفرجت شفتاها الرقيقتان البضتان عن ضحكة أو ابتسامة عريضة ، رافق ذلك انحناءة خجلى من رأسها تحاول فيها أن تخفي أسنانها الصغيرة كحبات اللؤلؤ ، تمشيا لا شعوريا مع تقاليد القرية البدائية التي تعتبر من كمال المرأة وجمال مزاياها أن لا تبدو ثناياها أمام الرجال . لقد كان ذلك طبيعة فيها لا تصطنعها اصطناعا ، ولكنه كان من عوامل فتنتها الكبرى ، ومن أشد بواعث الاغراء اللذيذ في انوثتها .

وعلى الرغم من طفولتي فقد كنت أشعر بحب لذيذ دافىء لها ، وبلذة عظيمة في أن أتأمل جمالها . كانت جميلة جدا ، وكنت أحس بغبطة طفولية حارة حين أجدني بقربها . وما أكثر ما كنت أجدني بقربها ، فهي ابنة عمتي ، وعمتي تحبني وتدللني ، وتسأل عني كلما غبت عن منزلها الذي لا يبعد عن منزلنا أكثر من عشرين خطوة . وكنت أحب عمتي كثيرا لانها تدللني وتسأل عني ، وبذلك تتيح لي فرصا كثيرة جدا لالعب مع ابنتها خضرا التي أحبها بكل براءة الطفولة الحمقاء اللاهية ، فأتملى من كل ما هو جميل في قسماتها ، وكل قسماتها حلو فاتن .

في احدى المرات خرجت عمتي لحاجة ، وطالت غيبتها قليلا ، وبقينا وحدنا في الغرفة : خضرا وأنا ، نلهو ، ونتحادث ، ونتسلى . وكان قد شاع في القرية أخيرا أن والدي سينقلني قريبا الى المدرسة الداخلية في المدينة البعيدة ، وسيطول غيابي هناك كثيرا . وكان طبيعيا أن يتطرق حديثنا الى ذلك ، وأن تسألني خضرا عما اذا كنت سعيدا بالذهاب الى المدينة .

أكنت سعيدا حقا ؟ لا أدري ، ولكن المدينة ستكون عندي تجربة جديدة كبيرة ، أكبر من سني ، كانت شيئا يصوره خيالي مزوقا مهولا دون أن أتبين له لونا صحيحا أو فكرة واضحة . لا بد أن بيوتها كلها قصور ضخمة شاهقة ، بعكس بيوت القرية الصغيرة

المصنوعة من اللبن الترابي ، وشوارعها ، وأناسها ، وحيواناتها ، وكل ما فيها يختلف عن كل ما في القرية. والمدرسة فيها شيء عظيم عظيم لا أعرف كيف أتمثله في خيال الطفولة . والمعلمون ، والطلاب .. أبينهم قرويون مثلي ، أم كلهم مدنيون ممن يقال انهم يأكلون على المائدة بالشوكة والسكين ، ولا يقطعون الخبز بأيديهم كما نفعل نحن في القرية ، بل بالسكين ؟ وشوارع المدينة ، هل فيها غبار كما في القرية ، أم هي نظيفة مرشوشة بالماء دائما ؟ آه ، صحيح ! والسيارات فيها ، هذه التي لا نرى منها في القرية الا واحدة أو اثنتين في الشهر كله ، وتظل مواصلات القرية بعد ذلك على ظهور الحمير أو الخيل ، هذه السيارات ما أجمل أن أراها طوال اليوم ذاهبة آتية في شوارع المدينة !

وشرد خيالي قليلا حينما القت علي خضرا سؤالها، فقد طاف المدينة كلها في لحظة ، ثم عاد دون أن يتبين صورتها بوضوح . وضحكت قليلا ، كأنما طاب لي أن أزهى على خضرا ، وأن أشعرها بأنني أهم منها ، فأنا سأذهب الى المدينة ، وسأدخل مدرستها الكبيرة ، وسأعيش فيها عيشة أهلها مدة من الزمن ، ثم ، من يدري ؟ قد أعود الى القرية مدنيا يرتدي البنطلون ، والحذاء الملمع، وربطة العنق المتدلية على الصدر كذيل المهر الصغير كهؤلاء المدنيين الموظفين الذين يزورون القرية من حين الى آخر ، وعند ذاك سأقطع الخبز بالسكين ، وآكل على المائدة من صحن خاص ، وبالشوكة والسكين ، أو لعلي سأستطيب حياة المدينة ، فأجد لي عملا فيها ولا أعود الى القرية الا في فترات متباعدات للزيارة الخاطفة فقط ، حين أتيقن من أنه لن يكون في وسعي أن أنقل المدينة الى القرية .

وقلت لخضرا مغتبطا : ـ معلوم ! مين بصح له يروح عالمدينة وبيرفض ؟

وابتسمت خضرا ابتسامة فاتنة وقالت :

ـ شو بدك تجيب لي معك يوم ما ترجع من هناك ؟

ومن دون تلكؤ أو تفكير قلت :

ـ بجيب لك معي سوارة ذهب

فقالت :ـ قول والله !

فقلت :ـ والله العظيم يوم ما أرجع غير أجيب لك معي سوارة .

وذهبت فعلا الى المدينة ، ودخلت مدرستها الكبيرة ومضت سنين طويلة لم أعد فيها الى القرية ، بل انهيت الدراسة الثانوية ، ثم عملت معلما في المدينة ، وتزوجت تزوجت من المدينة ، وأصبحت خضرا ، وكذلك حب خضرا ، بعض ذكريات الطفولة ، الذكريات الجميلة البريئة والحمقاء معا .

صحيح أنني كنت أشعر بأنني أحب خضرا لجمالها ولكنني لا أستطيع أن أعود الى القرية لاقترن بها ، فهي قروية أمية ، لم تدخل المدرسة ، ولا تعرف حتى الالفباء ، وأنا أصبحت متمدنا ، وقد انهيت الدراسة الثانوية ، وعملي في التعليم يجعلني شخصية مرموقة ، ويفرض علي سلوكا معينا ، وتصرفات خاصة ، ومظهرا اجتماعيا يتناسب مع العمل والبيئة ، فكيف أرضى بأن تكون زوجتي قروية أمية ؟

لقد كانت جميلة حقا ، بل أجمل من الكثيرات جدا من بنات المدينة ، ولكن .. ولكنها قروية ، ترتدي الثوب القروي الثقيل الذي يستنفد أكثر من خمسة عشر ذراعا من القماش الاسود السميك ، وهي تجعله على جسدها ثلاث طبقات ، وتترك ذيله الطويل يكنس الارض خلفها كلما سارت ، وفي قدميها لا تضع الحذاء الا حينما تذهب الى الكنيسة نهار الاحد أو العيد ، وعلى رأسها تلف عصابة لا يبلغ مثل استدارتها وسمكها أضخم العمائم . وهي لن تستطيع أن تتخلى عن كل ذلك بسهولة ، لا يسهل عليها أن تخلع القرية عن روحها وعن جسدها لترتدي المدينة حسا وزيا ، أما أنا فقد ارتبطت حياتي بالمدينة ارتباطا تاما ، فما أطيق أن أعود لاعيش في القرية ، ولا أن أحيا حياة القرويين البسيطة الخشنة القاسية . الارض والبهائم بدأت تنتهي صلتي بها منذ أن وضعت قدمي في المدينة ، ثم انتهت الصلة وتلاشت حين تسلمت شهادة الدراسة الثانوية من يد

مدير المدرسة ، وبدلا من أن أعود الى القرية استأجرت غرفة في المدينة وشرعت أبحث عن عمل • ولم يطل بحثي ، فقد كان مثل شهادتي في ذلك الحين طعما نافعا لصيد الوظائف والاعمال المرموقة السهلة •

لقد كنت أعلم أن خضرا تنتظرني ، وتنتظر السوار الذهبي الموعود ، الذي كانت تمني النفس بأن يكون هدية الخطوبة ، وكثيرا ما تذكرتها ، وتذكرت اجتماعاتنا ولهونا ، والوعد الذي قطعته لها مشفوعا باليمين • وكنت أتلمظ اذ أذكر اسمها ، كمن يأكل شيئا حلوا ، فقد كان ذكر اسمها يذكرني بجمالها الفاتن كله ، فأحن اليه وأشتهيه من كل قلبي ، لولا •• أنها ظلت قروية أمية ، وأصبحت أنا مدنيا متعلما ، يحمل الشهادة ويعلم أولاد المدنيين •

وهكذا تزوجت فتاة من المدينة ، ولم أعد الى القرية الا بعد أن أصبح لدي ثلاثة أبناء • وفي منزل والدي الذي لبس مظهر العرس ، وغرق في فرحة اللقاء بعد سني الفراق الطويلة ، جاءت خضرا تسلم علي •

كانت لا تزال على جمالها القديم ، الا بعض أخاديد في وجهها الابيض الفاتن البض تكاد لا تبين • لم تتزوج حتى ذلك الحين ، رغم جمالها ، وغريب أن لا تتزوج فتاة مثلها ، لها كل هذا الجمال •

والتقت عيناي بعينيها ، ورأيت ثغرها وعينيها وغمازتيها تتألق كلها بابتسامتها الحلوة القديمة ، ولكن مع الابتسامة لمحة عتاب وتساؤل ولم تخف علي معناها • لقد كانت تذكرني نظرتها الطويلة العاتبة بالوعد القديم • ألم أقل لها يوما ونحن طفلان : « والله العظيم يوم ما أرجع غير أجيب لك معي سواره » ؟ وها أنا الآن أعود بعد كل تلك السنين ، وبدلا من السوار الذهبي ، سوار الامل الجميل ، أعود ومعي ماذا ؟! زوجة من بنات المدينة ، وثلاثة أبناء !•

شركة الاسمنت ومواد البناء في دمشق

تقـــدم

للشعب العربي السوري أجمل التهاني

بعيدي الميلاد ورأس السنة

شهباء

شعر : أنور امام

أتيت أقبس منك العز والادبا   وأستقي من رحيق الشعر ما عذبا

وأحمد الدرب عل الدرب يوصلني   الى الجنان فألفي جنتي حلبا

شهباء معلمة جدت مآثرها   كم أطلعت للعلى في أفقنا شهبا

شهباء في ذروة التاريخ تبصرها   والحارسين لها السيف والادبا

أطياف أمسي اعاد الله زهوته   تمر في خاطر النجوى نسيم صبا

اني لالمح في الرؤيا سنا بطل   من آل حمدان غير المجد ما خطبا

والقصر يشرق بالانوار مائجة   والصافنات بساح القصر زهر ربى

واليعربيين فوق الخيل كوكبة   تقبل الشمس منها الدرع واليلبا

مشى العبير على مخضوب سيفهم   فلملم الاثر النشوان واختضبا

سيف ابن حمدان لم تفلل مضاربه   والنصر ينثال من افرنده صببا

النصر رفرف فوق القصر مؤتلقا   والشعر غرد في أبهائه طربا

والحاليات عذارى النجع رنحها   من زهوة العيد ما ماست به عجبا

تشدو وترقص والنعمى مرفرفة   وموكب الفتح من نعمائها اكتسبا

أبو فراس على جرداء ضامرة   وحوله من كماة العرب من ندبا

الشعر في الموكب النشوان أغنية   والبأس خفق بنود والتماع ظبى

كلاهما طيع يمشي بأمرته   كلاهما لسنا عليائه انتسبا

تزغرد الغيد اعجابا بشاعرها   وترقص الخيل زهوا بالذي ركبا

تدرى المعامع من قاد الفخار بها   وحالف النصر ان اوما له اقتربا

جر الكتائب للجلى وعودها   ورد الشموس فراحت تزحم الشهبا

تظما فتروى من اللبات اسيفها   وتشبع الذئب لا يشكو لها سغبا

ما راح يطغيه وفر في مغانمه   أو عاقة الفقر عن اعطاء من طلبا

كم راح يمنح ما حازت كتائبه   من الغنيمة أو ما جمعت نشبا

لغادة لم تجد في الحي كاسبها   وراح لم يكتشف من سترها حجبا

يمضي لغايته لا ينثني هربا   ولو رأى في ادراك الغاية العطبا

شرس النوائب لم توهن عزائمه   كم فل في صبره الاحداث والنوبا

ما كان غمرا ولا مهرا مطيته   ولا بعزل رفاق السيف من صحبا

لكنه قدر يشتد في عجل   لا يملك المرء دفعا للذي كتبا

فاختار من أمره ما ليس يلبسه   عارا وان حمل الآلام والكربا

ما عابه الاسر يذكي من عزائمه   عزائما روت المران والقصبا

كالبدر ان يحتجب بالغيم آونة   يزداد اشراقه من بعد ما احتجبا

ما روض الخطب الا باسل انف   يزيده الخطب عزما ماضيا وابا

خلائق الكبر في محبوس دمعته   وروعة السحر في انغامه سكبا

راحت تناجيه جنح الليل ساجعة   غريبة تبتغي في الحي مغتربا

وكل ذي شجن يهفو لذى شجن   كأن بينهما من لوعة نسبا

أعارها الانفة الشماء فانفلتت   تكفكف الدمع بالصمت الذي وجبا

منحت شعري في ذكراك تكرمة   فانهل بالنغمة المعطاء منسكبا

الشعر عزة نفس أنت رائدها   ونفحة من فؤاد بالعلى رغبا

ودفقة من شعور مرهف خضل   لم تتخذ فيه لا ذلفى ولا كذبا

يسمو القريض بمن روى بدائعه   وكرم الشعر والامجاد والعربا

اذا تغنى رأيت النفس صاغية   والقلب منتشيا والساح ملتهبا

شهباء نلت العلى من تالد عطر   منك الفنون استمدت نفحها الخصبا

أوابد المتنبي كم شفت وصبا   وكم جلا في القوافي الدر والذهبا

ان قال شعرا فان الدهر راوية   والزهر ترقص في عليائها طربا

رفت على الخلد الحانا منغمة   حتى ازدهى الخلد من الحانه وصبا

ان قيل ما الحسب الذاكي فان له   في العبقرية اما ترتجى .. وأبا

اذا اديرت حميا الفخر في بلد   ابناؤك الصيد كانوا خير من شربا

من قارع البغي بغي الغاصبين ومن   في مهمه الخطب قاد الجحفل اللجبا

فما ذكرت هنانو عند ملحمة   الا رأيت لواء النصر منتصبا

فاسأل سفوحا بها من بأسه أثر   في الاربعين وكم نصر بها كسبا (١)

تحية الاربعين اليوم احملها   للاربعين ثرى بالطيب قد خضبا (٢)

من معقل للاسود الصيد في بلدي   لمعقل دونه بغي الطغاة كبا

من ثائرين وسل عن شيخ ثورتهم   ماذا هنالك اعطى ؟ بل وما وهبا (٣)

الغاصبون تراموا في سفوحهم   صرعى سقاها الاباة الويل والحربا

اني لاحملها طيبا وغالية   تعطر الدرب والاجواء والسحبا

الى الميامين في دنيا الفخار مشى   فيهم هنانو فكانوا للعلى سببا

اذا الزعيم دعا أسدا غطارفة   تفرع البغي في باريس وانتحبا

شهباء اني اذا غنيت قافية   فمن عبير شذاك شعري اختضبا

أكاد ألمح في الاجواء سابحة   كالحور تمرح في جناتها سربا

عرائس المتنبي في مباهجها   الناثرات على الدنيا زهور صبا

جاءت الى عمر مشغوفة أملا   حنت عليه وراحت تنهل الادبا (٤)

لما أشار سليمان لها خطرت   كمثل بلقيس تبغي عنده الاربا (٥)

وضمها الصرح يبدي من مفاتنها   حتى استعادت به أثوابها القشبا

الفخر منك وفيك اليوم نبعته   لا زال ينتظم الايام والحقبا

ان قيل للشعر كنت النغمة العجبا   أو قيل للمجد كنت المعقل الاشبا

بانياس ــ أنور امام

---

(١) الاربعين جبل فوق اريحا كان معقلا من معاقل ثورة الزعيم الخالد هنانو .

(٢) الاربعين جبل مطل على بانياس كان من أمنع معاقل ثورة الشيخ صالح العلي

(٣) شيخ ثورتهم المجاهد الكبير المرحوم الشيخ صالح العلي

(٤) الشاعر عمر ابو ريشة

(٥) الشاعر سليمان العيسى

خطرات فكر ..

بقلم : سعد صائب

« خطرات فكر » هو عنوان الكتاب الجديد الذي أعده سعد صائب ، واستقطب فيه كل ماعاناه من تجارب حياتية وفكرية خلال المدة التي بدأ فيها الكتابة عام ١٩٣٦ حتى اليوم .. ومن محاسن هـذا الكتاب الجديد الذي سيظهر قريبا ، ان فيه نقدا لحياتنا .. ولئن شابته قسوة ، الا أن فيه صدقا كل الصدق .. فكأننا بسعد صائب حين كتب خطراته وضع نصب عينيه ما قاله « شكسبير » على لسان « هملت » : فلأقس .. لا لشيء الا لكي أكـون رحيما .. من هذه الزاوية يجب أن نزن هذه الخطرات ، لانها جاءت تعبيرا صادقا يعتور حياتنا من مشكلات فكرية وحياتية .. فلنتمل هذه الصور وهي تنثال صورة فـي اثر صورة ، ولنرهف الاسماع الى هذه الهمسات الشجية التي تطرب وتعجب ـ الثقافة ـ

ما ذنب « القيثارة » ان لم يكن لحنك عذبا ؟
وما ذنب حياتك ان لم تكن انت جميلا ؟
فلم تلعنهما وتنسى نفسك ؟..

* * *

قال : عبثا ابحث عن « القدوة » في بلادي .
قلت : وعبثا تبحث بلادك عنك .
أو لم تفقد التأسي فيك ؟..

* * *

ما بالكم تنشدون اشباع لذاتكم الحسية
وتصدون عن لذة « حب الاستطلاع » ؟
اوليست الحافز الى كل تقدم علمي ؟..
ألا ليتكم تقلدون الغرب في لذته هذه فحسب فتبدعون ،
اذن لسموتم عليه !!..

* * *

يالجناية الفلاسفة على الانسان !
أكلما اطمأن قلبه الى ربه فآمن به
استعدوا عليه عقله يطالبه بالفهم والبرهان ؟

ما الذي يجعل الانسان مؤمنا ؟
قلبه أم عقله ؟؟..
ترى .. « ألا يعلمنا الناس الكلام ، وتعلمنا الآلهة الصمت » ؟..

* * *

ويحك .. لم تنكر وجودك من أجل حتميتك ؟
اعني لم تنكر حريتك ؟
لولاها ، اكنت موجودا ؟..

* * *

اطفئوا النار في أجسادكم
ولا تطفئوها في قلوبكم
تسلم أجسادكم ، وتطهر قلوبكم ..

* * *

لم يدهش الشعراء اذ رأوا خدينهم « هوميروس » مطرودا من « المدينة الفاضلة » فقالوا : لا غرابة ، ان الفلاسفة يأخذون بثأرهم .. الم نطردهم نحن من رياضنا ؟..

ولكم تساءلت : ممن اذن تأتت هذه الضجة الكبرى التي ما انفكت منذ لاي تقرع اسماعنا ؟
أمن صفوف الفلاسفة ، أم من صفوف الشعراء ؟.
اذا كان الشعر عاطفة وغناء ، فهل الفلسفة كذلك ؟
علام الضجة الكبرى اذن ؟..

* * *

قيل ان أحد أباطرة الرومان ود لو كان لشعبه بأسره عنق واحد حتى يمكن من قطعه بضربة سيف واحدة.
وأتساءل : او لم يكن هو ذاته رومانيا ؟
وتجيبني نفسي : بـلى .. ولكنـه طفل غفل لا يعي مغزى ما عزم عليه ، لخلوه من مشاركتهم الوجدانية ..
كم في « الحكام » من أطفال غفل !!..

* * *

ويحك .. لم تبك سعادة فاتتك
ولا تبكي ينبوعها الذي غار فيك ؟
أولست ينبوعها ؟؟.
لو فجرته لسعدت !..

* * *

ما شوه « المذاهب الفلسفية » مثل خطأ تفسيرها ..
بالامس البعيد تجنوا على « الابيقورية »
فألصقوا بها تهمة : افعل ما تشتهي نفسك واعرض عما يهديك اليه عقلك ..
واليوم ، نراهم يتجنون على « الوجودية » فيخالونها دعوة الى مغالبة وطأة الحياة ، في العبث بالحياة ذاتها ، وفي التحرر من « مسؤولية » الحرية حيالها ..
ترى .. انعزو هذا « التشويه » الى تشابه العصرين ؟
أم الى أن للناس في الحياة « مذاهب » لا يدركها الفلاسفة ؟؟..

* * *

تقول : اعرف نفسك
وأقول : واحذر نفسك كذلك ..

* * *

كلما ازداد التأهب للحرب
ساد الحديث عن السلم
أتراهم يصدقون فيه أم يكذبون ؟؟..
« الهي !. دلنا على حقيقة الانسان :
الانسان الذي يحمل في نفسه موته الخاص
أهدنا الصراط الذي يقتاد اليه
ونجنا من الايدي الموزعة بهلاكه » ..

* * *

لو تعاون القوي والضعيف .
الا تمحى القوة ويزول الحقد من الوجود ؟
اليست يد الله مع الجماعة ؟!..

* * *

مهما جمع الغرب بين العقل والآلة فلن يبلغ الكمال ،
لن يبلغه ما دام يهمل الروح ..
هل يتعاطف عقل مع آلة الا بالروح ؟.

ترى .. لو ان الغرب عاش هذا التعاطف ، هل يبلغ الكمال ؟.
لست أدري ..

* * *

قد تقول مع « هيجل » ان التاريخ اسمى ضروب المعرفة .
وأقول : ليست العبرة بسموه
العبرة باحساسنا بمعناه ، تلك هي المشكلة كما يقول « هملت » ..

* * *

عظماء العالم يصنعون التاريخ
أما عظماؤنا فيشوهونه ..

* * *

عجبي ممن يتساءل وجلا عن مبعث هذا القلق الغامر الذي يستغرق حياة جيلنا ..
اليس مبعثه جهله نفسه وعصره وامكاناته ؟
اليس مرده الى هلعه من فراغ يتوهمه في حياته فيعجز عن ملئه ؟
لو انه قهر بوعيه جهله ، وملأ بارادته فراغه ، أتراه يظل نهبا للقلق ؟
أيها الجيل الضائع : « كن ذاتك » واسبر غورها تشف من قلقك .

* * *

رباه !! أبيت أن تبوح بسر الروح حتى لنبيك
اما آن أن تبوح لنا به لنفهم روح عصرنا ؟
نجنا يا الهي !!..

* * *

تقولون : الجوع كافر ولا تقوون على قتله .
هل ارتضيتم الالحاد ؟ أين اذن ايمانكم ؟؟.

* * *

ليس بعاب على عصر البطولة خلوه من الملاحم
انما العاب على الامة التي لا تستوحي بطولاتها فتنظم ملحمتها ..

* * *

صونوا للأدب المهجري قداسته

نظير زيتون

(كان الاديب المهجري المعروف الياس قنصل نزيل الارجنتين قد نشر على صفحات (أضواء) التي تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة في باريس ، نداء وجهه الى الحكومات العربية على أمل ان تنصف الادباء المهجريين (الذين كانوا بوق العروبة وراء البحار ، كما اسهموا في ما وصلت اليه البلدان العربية من تقدم ونجاح ، فكان من النصفة - كما يقول الكاتب - ان ينالوا نصيبا من الجزاء كدعوتهم الى زيارة الوطن العربي، ولم يدع الا القروي وفرحات ، وطبع دواوين الشعراء ومساعدة الصحف العربية التي كان لها اكبر فضل في توطيد أركان الادب المهجري الخ ..

وختم الكاتب نداءه قائلا : (فلعلهـا تفعل الآن ما كان من الواجب ان تفعله منذ سنوات فتعوض عن هذا التقصير الماضي الاليم) هذا على اعترافه بـأن (لا مبالاة الحكومات العربية بالادباء المغتربين وعـدم اكتراثها للابقاء على هذا النفس العربي في القـارة الجديدة) كانا في عـداد العوامل التي أدت الى نضوب الادب المهجري ومفاض ينبوعه وكأنه في حالة احتضار ..

وقد تصدى للرد على ندائه أديب المهجر المشهور الاستاذ نظير زيتون وهو المنافح الاكبـر عن الادب المهجري ، فجاء ردا بليغا محكما صريحا يثير الشـؤون والشجون ، في نفوس من وهبهم الله الآذان والعيون ، ويهز جوارح من على الحرف العربي يغارون . وهذا هو الرد الذي يستحق صفحته المرموقة لا في تاريخ الادب المهجري فحسب ، بل في تاريخ ازمة الادب العربي الحديث) :

سمعت صرختك يا أخي الياس ، على صفحـات - أضواء - الزهراء . انها صرخة لا غموض فيها ولا التباس . تملأ الفضاء وتهز الجوزاء . وتحز في قلوب الناس . وتكاد تدفع الى اليأس . لولا قبس من رجاء ، لمع في مقالك الوضاء ، وما هو الا آل في صحراء جدباء . ووهم ووسواس . وخيـال لا تدركه حواس ، ولا قياس له او اساس ، غير ما تألق في فكرك من ضياء ، وغير ما انبث في قلبك من رواء ، وغير ما فاض على مدادك من سراء وسخاء .

ولقد أسرفت وبذرت اذ أرسلت ذلك النداء . وجعلت من الموتى أحياء . أتراك تخاطب الاذن الصماء . والعين الرمداء . والشفة البكماء . والساق العرجاء . واليد الشـلاء ، والقلب الملتحف بالغيوم السوداء ، والذهن التائه في مفاوز الكبرياء ، وضباب السياسـة الشمطاء ؟

أو تنتظر الصـدى ؟ يا لصوتك يضيع سدى ، حيث لا ندى ولا هدى ..

ما أروع وهمك يا أخي الياس ، وما ارسـخ ايمانك بأولئك الناس . وانت ادرى بما في الدن والكاس . وبما في العين والراس ، وبما يختلج في الصدر من احساس ، ولا حواس . فكيف تنشد الاعـراس في الارماس ، وكيف توثق الاوهام بالامراس ، ارفق بقلمك والقرطاس . فالادب المهجري كله ، على جلاله وروعة جماله ، لا يوازي عندهم في القسطاس ، أصوات عشرة ناخبين أو متمشيخين أو حراس . ولا شأن له عند غطارفتنا السواس . وسائر من يجررون ذيول الزعامة والباس . وترف المظهر واللباس . في فاقة مجبـر وافلاس . وجعجعة احناك وقعقعة اضراس ...

فاربأ بعد هذا بتراثنا المهجـري العبقري المتأرج الانفاس . المزركش بخيوط الذهب والماس . المستوي على العرش في هيكل الاقداس .

صن كرامة هذا التراث الظافر الغازي الـذي نصبت له الفصحى بواسق الاقواس . وقرعت لـه الاجراس . مزدهاة مشبوبة الهتاف والحماس ..

هذا التراث العبقري المبهري الذي كان المحج

والنبراس • والنشوة والايناس • لندامى الفكر الاكياس • وعشاق الوتر الحساس • هذا الكنز الذي عز تصيده على التاجر والنقاد والنخاس • وكان للحضارة والرقي احكم مقياس ، وضعه ساستنا الاحوذيون كما وضعوا عدلاءه ، وراء ظهر • وكأنه لا يعنيهم من شؤونه أمر • وحقه في مآدبهم ومحافلهم مكانة الصدر • وفي ندواتهم ومجالسهم موضوع الفخر ، هذا التراث الرائع لا يضيره هذا التعامي ، وهذا التجني وهذا النكر •

أليس هو مطلع الفجر ، يوم احلولك ليل القلم والفكر • أليس هو طل الزهر حينما جف الحرف على جنبات الثغر • أليس هو افرودة البدر ، عندما خرست الافواه وعبس الدهر ، اليس هو رحيق الطروس والنفوس يوم ضمرت أثداء الكرم وانقطع وحي الخمر ، أليس هو المزمزم المزمجر في وجه الطغاة ، يوم كان سيف الاستبداد والنقمة مصلتا فوق الرأس وحول النحر ، فاذا الكلمة النيرة يصرعها البغي والخدر • واذا النجوى العذراء يفترسها ثعلب الروغان والمكر ، فترتد الى الاضالع في مثل الجمر ، لا يطفئها ماء ولا يبللها قطر • •

ولنتابع حديثنا عن مآثره وخصاله • أليس هو الذي اطلق العقل من عقاله • ورمى الطغيان بوابل من نباله • وطعن الفساد بمرهفات نصاله ، وانقض على الجمود ببركانه وزلزاله • وكافح الجهل واطبق على سلاطينه واقياله • وحطم القيود والاقطاعيات بصواعق نضاله ، فاذا النور يفيض في يمينه وشماله • واذا الجمال في الفصحى يخترق العيون بجلاله ، واذا القلم العربي يخلع من أسماله ، ويواكب النجوم في تجواله ، واذا الحرف يرمي عن ظهره بأثقاله ، ويرقص مع الشعاع في جو أحلامه وآماله •

أما أثره في تقدم المجتمع العربي المهاجر • فهيهات أن ينكره مكابر • سل المصانع والمزارع والمتاجر • والمعاهد والمجامع والمسامر • سل الدور والقصور والعمائر • والعمران والاحسان والمآثر • سل الوطنية النيرة المتوجة بالجواهر • والحرية الزهراء المتأججة في السرائر • سل العقول والنفوس والبصائر ، والمحافل والاندية والعنابر • كم من يد اسدى اليها هذا الادب المجاهد المصابر • وكم قادها ورد عنها المحاذر • وكم اذكى من همم فواتر • وكم زرع لها من رياض زواهر • وكم سكب من العين زيتا ليملأ المنائر • وكم صاغ لها من الامجاد والمفاخر ••

وهل بعد هذا النصر من نصر • وهل هناك ما يبذ هذا الفتح الاغر • وهل للفصحى مثل هذا الابن الابر • انه صوفي لوطنه ولغته لا يمن ولا يطالب بأجر • بل يغضي حياء أمام الشكر •

ومعاذ العلياء وهو السابح في آفاقها ان يهبط الى القعر • وان مفروشا بالتبر • منضدا بالدر •

وأراك يا صديقي الياس تخاطبهم ، تخاطب ساستنا الذين تولوا امورنا في نشوة من الدهر ، وكأنهم يسمعون ويصغون ، ويمحون ما تقع عليه العيون ••

وساستنا هم هم في كل قطر عربي تقريبا ، لا تقع أبصارهم على أبعد من تخوم الصعيد المحلي ، واذا امتدت فالى الجوار ، فكيف تأمل ان تعبر البحار والقارات الى الاميركتين حيث يقيم مئات الالوف من المغتربين ؟ وماذا يعنيهم من أمر الادب المهجري ، وهو لايقدم ولا يؤخر في مكاسبهم السياسية ومصالحهم ••

أنقول انها حداثة النعمة في الحكم والسلطان • انقول انها المراهقة في مفهوم الدولة والبنيان ؟

قال قديما احد وزراء الانكليز الحكماء : قد يأتي يوم تتخلى فيه بريطانيا عن مستعمراتها ـ وقد جاء هذا اليوم وتخلت عن معظم املاك التاج ـ ولكن شيئا واحدا لن تتخلى عنه ، ولن تستطيع قوة ان تسلبه منها وهو شكسبير •••

وجماعتنا الذين ناديتهم يا عزيزي الياس • على اختلاف اقطارهم ، يتخلون عن مائة شكسبير بين مقيم ومغترب ، ولا يتخلون عن مناهجهم السياسية المحلية ، ومفهومهم الضيق المحدود للدولة والوطن والقومية •

اسمع ما أقصه عليك ولا تغضب ولا تعتب ، وان استطعت فاحبس دموعك ••

ان ازمة الحرف العربي في وطنه ، في كل البلدان العربية تقريبا ، هي أدهى ما يتصوره الخيال ، وأقسى ما يخطر ببال ، لو شئت أن أفصل لاحتجت الى مجلد برأسه ، ولكني أوجز بمثلين او ثلاثة ، ولك أن تضيف عشرات وعشرات الامثلة عن ازمة الحرف في كل قطر من اقطارنا المباركة .. وقد تفرع من هذه الازمة ألوان وألوان من الادب المحسور المقهور ، احسنها حالا ، وأنعمها بالا وأوسعها سريالا ما أدعوه « بالادب الموظف » ولنا باسمه ما يغني عن وصفه ...

ليس هذا بموضوعنا ، فلنعد الى الحديث عن أزمة الحرف العربي في وطنه . فاسمع وصابر النفس ولا تجزع .

أما أتاك نبأ المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ؟ أما وقفت على مأساته وهي مأساة الحرف العربي في عقر داره . أكان يخطر ببال أحد ان يتربصوا به ويضطهدوه . فاذا هو بين حي وميت ، ومن يرجو بعد هذا ان يشملوا الحرف العربي في المهجر برعايتهم السامية ، وقد عبثوا به وازدروه في وطنه الاصيل بحجج غير بريئة ؟ ولقد صرخ المخلصون : اياكم ان تحلوه . بل غربلوه وانخلوه .

هذه واحدة . واخرى تتمثل في مأساة العبقرية العلمية والفكرية والبطولة القومية والسياسية .

تأملوا يا قوم مأساة العبقرية السخية النهية في فارس الخوري ، وقد كان للامة العربية بجميع بلدانها فارسها في اعظم المحافل الدولية ، واحرج المواقف . كان لسانها وترجمانها والذائد عن كرامتها وحريتها . كان علمها الخفاق وقرآنها وانجيلها في صرخاته وغضباته . وجولاته وصولاته . وحملاته وعزماته . ما ارتفع للامة العربية في هيئة الامم المتحدة صوت مدو قاصف . مزمجر عاصف . كصوت فارس الخوري ، وناهيك به من فارس في مقارعة الاعداء الاشاوس . اذا ناقش اسكت وافحم . واذا جادل فند وعلم . واذا طاعن أصمى ولم يرحم . واذا نفخ في الصور . تصدع السور وتحطم ، ثم لقي وجه ربه بعد مرض وبيل واحتضار طويل .

وخمدت تلك الشعلة وأفل ذلك النجم بعدما انتشر شعاعه ستين عاما يملأ دنيا العرب ، فأي صدى كان لهذه الفاجعة القومية في الهيئات الرسمية والشعبية ؟ لقد اقتصر الامر على المراسم الجنائزية ولا فضل فيها لانها تدبير اكرامي رسمي يشمل كل من تولى رئاسة الجمهورية أو مجلس الوزراء او النواب .

وماذا جرى بعدئذ ؟ لقد طويت صفحات فارس الخوري كما تطوى صفحة أي ميت عادي . لقد تناسوه في وطنه كما تناسته سائر البلدان العربية ، فلا الهيئات الرسمية ولا الهيئات الشعبية تنادت الى تكريم ذكراه ، وهو القدوة في نهاه وعلاه ، وهو العطر في شذاه وهو العطاء في نداه ، والعملاق في رؤاه . فيا للعقوق ما امره وأقساه ، ويا لك الله من وطن لا يقدر الفضل ويرعاه ، واذا التمسنا العزاء ، فعزاؤنا في جوالينا العربية في سان باولو وبونس ايرس ، فمرحى لها وألف مرحى ، اذ اقامت للفقيد العربي العظيم أروع الحفلات التذكارية التي دلت على أبلغ معاني الوعي القومي المرهف ، واسمى مشاعر الحس الحضاري المترف . ويا للعبقرية العربية تكرم في المهاجر الاميركية وتقدر . وتدفن في وطنها العربي وكأنها شيء لا يذكر ، ولا يستحق ان ينشر .. وسحقا لعواطف السياسة كيف تهب عمياء ، وكيف تحجب الضياء ، بغيومها المتلبدة السوداء ..

فلا تغضب ولا تعتب ، واحبس دمعك ان استطعت، فساستنا وحكامنا لن يكفكفوا لك دمعة ..

هذه ثانية وثالثة ، ان اللغة العربية الفصحى التي جمعتنا في أمة عربية واحدة وحالت دون تمزيقنا الى شعوب شتى بحكم اللهجات العامية المتباينة التي يسهل فهمها على قوم ويعسر على آخرين ، ان لغتنا العربية الفصحى التي تمكن السوري مثلا من مخاطبة التونسي والمغربي والعربي السعودي وسواهم ، وبالعكس ، ان هذه اللغة بدأت تتقهقر أمام لهجاتنا القطرية العامية التي تنيف على الخمسين ، نحن لا نعنى كثيرا بدعوة بعض

الكتاب الى استعمال العامية الدارجة ، فهؤلاء امرهم معروف واثرهم محدود ، ولكن يعنينا كثيرا ان تتبنى حكوماتنا العربية هذه الدعوة الهدامة الى العامية ، وهنا المصيبة القومية الكبرى ، يرمينا بها من يدعون انهم قادة القومية العربية وحماتها .

فالحوار والحديث والاغاني في افلامنا العربية كلها تدور بالعامية او لغة الشعب كما يزعمون اما الفصحى فلا اثر لها . واذا كانت حكوماتنا تراقب هذه الافلام قبل عرضها فالمراقبة تقتصر على ما ينبو عنه الذوق والتزمت ، أما ما تنبو عنه القومية العربية واللغة فلا بأس به ..

ثم لا أدري هل تصل الى مسامعكم في المهاجر الاميركية اصوات اذاعاتنا العربية ام لا ، وعلى كل حال فساعة واحدة أمام أية اذاعة تدلك على أن المكانة الاولى هي للعامية ، لا للفصحى . فالاغاني والتمثيليات . والمحاورات وكثير من الاحاديث والدروس وسواها ، هذه كلها تدور بالعامية التي اخذت بالرواج والانتشار بحكم تسامح حكوماتنا العربية والتغاضي عن هذا الخطر الوبيل الذي سيقضي اذا استمر بعد تفشيه ، الى تقهقر اللغة الفصحى وفصم الرابطة اللغوية والقومية الوثقى بين الشعوب العربية في كل بلدانها .

اما التلفزيون العربي ، فقد وقاكم الله شر سماع برامجه التي تفشت في معظمها العامية واحيانا الريفية والبدوية التي يتعذر على كل واحد ان يفهمها ...

أنا لا أعلق ، ولا أدرس ، ولا أبحث ولكني أروي قصة الفصحى والعامية في وطن الفصحى ، مع هذا لا يتورعون عن لوم المغتربين باسلوب قارص لانهم لا يعلمون ابناءهم الذين ولدوا وشبوا وتثقفوا في البلدان الاميركية لغة آبائهم العربية .

ولكن مهلا أيها اللائمون ، كفوا عن اللوم وتعالوا الى كلمة سواء . قولوا لنا يرحمكم الله ، هل اصطنعت حكوماتنا العربية يدا واحدة عند المغتربين ، هل رعت اللغة العربية في المهاجر وهل اهتمت بتدريسها لابناء المغتربين ، اذكروا لنا مأثرة واحدة ، في أي ميدان شئتم . اذكروا لنا يدا واحدة دلت على اهتمام حكوماتنا العربية بالمغتربين وعندئذ لوموا . لا والله ، ليس لحكوماتنا يد أو شبه يد عند المغتربين الذين لهم الوف الايادي والمآثر في الاوطان العربية .

ولكن لماذا نبحث عن اللغة العربية بين أبناء المغتربين في الاميركتين ، ولا نبحث عنها في بلدانها نفسها مثل الجزائر وتونس ومراكش . ان مأساة العربية هناك تدمي القلوب . لولا القرآن والجوامع والمساجد لقلنا ان اللغة العربية قد انقرضت او كادت ويعلم الله كم من الزمن تحتاج هذه البلدان الى تعريب السنتها وتجديد بنيانها اللغوي العربي وخصوصا الجزائر حيث لا يستطيع حتى الوزراء ان يعبروا عن افكارهم بالعامية الدارجة فضلا عن الفصحى .

اما في البلدان العربية الاخرى باستثناء الجزيرة العربية ، فلا شك ان ثقافة انتشرت انتشارا جامعا رائعا ، ولكنها « ثقافة شهادة ووظيفة » لحسن الحظ أو لسوئه لا أدري ، ولكننا كلنا ندري ان قيمة البكلوريا الثقافية هبطت الى النصف بالنسبة الى البكلوريا القديمة.

* * *

ثم لولا انك عدت من مهجرك في الارجنتين الى الوطن العربي ، وقد اعتزمت الاقامة الدائمة وكفرت بالهجرة واعلنت وصرحت عن عزمك على البقاء ، وملء الجوانح أشواق وآمال وأحلام ، وفي العين دمعة فرح وابتسام . وفي القلب طمأنينة وسلام . وفي الكف يراع وصمصام . وفي النفس عزم واقدام . لولا انك عدت الى الوطن واقمت فيه سنتين او ثلاثا وخبرته ، لعذرناك وعذرنا نداءك الى تلك الجماعة . ولكنك علمت من أمورهم أشياء وأشياء ، عصفت بآمالك فاذا هي هباء ، واذا الجنة الغناء ، وكأنها في النفس رمضاء . واذا الرحيل الى الارجنتين هو الوقاء وهو الشفاء . فعلام بعد هذا ترسل النداء ، ولمن تشكو الداء وممن تلتمس الدواء ، وقد خيبوا كل رجاء ؟

ثم هل قدروا أدبك ونضالك ومرحبوك بفنجان قهوة ؟ ولا شك انهم تقاضوك كما تقاضوني وتقاضوا

غيري من الادباء ، ثمن جواز السفر ، سامحهم الله ، وغفر لنا حسن النية .. وهو ذا جورج صيدح العملاق يدا وقلبا وفكرا ، لا أذكر بذله وعوارفه وأياديه وسائر ما أسداه الى قضايانا العربية في المهجر ، ولكني أذكر جوهرته الادبية الفريدة التي رصع بها تاريخ أدبنا الحديث اعني كتابه « أدبنا وادباؤنا في المهجر الاميركي » لقد وزع معظم نسخه هدايا ، حتى امراء الكويت اخذوا مئات بالمجان ، ولا تسلني عن موقف وزاراتنا وحكامنا امام هذا السفر النفيس ، فالسكوت احيانا ابلغ من الكلام ، ولكن انصافا للحق نقول انهم منحوه وساما رفيعا ، ولكن الوسام تواضع وخجل ان يتطفل على صدر جورج صيدح ، وآثر الاختباء في درج الوزارة ..

وإذا كان جورج صيدح ، سئل عنه الخير قد كفر في وطنه بأشياء كثيرة صدمته وأرهقته ، فهو لم يكفر بالوطن العربي ، ولا تنكر للادب ، ولكنه عاف الاقامة في العش الذي درج منه وتتجه مشرق خياله وآماله وآثر الاستقرار في باريس حيث ينعم بسكينة النفس وصفاء البال ورفعة القدر .

وزار الوطن من أدباء البرازيل الكبار الشاعر ميشال مغربي وهو أخو مروءة ووفاء ، الى جانب شاعرية اصيلة معطاء ، نعم ان الهيئات الثقافية استقبلته ببالغ الحفاوة ، اما حكامنا فقد عصمهم الله من الوقوع في الخطأ . فمعذرة يا ميشال وانت العربي المؤمن الصادق ، والشاعر الملهم الساحق .

ولا احدثك عن نفسي بل سل الاقدار ، كيف تدفعنا الى العشار والاسار ، وكيف تمتحن صلابة الايمان في الاحرار ، فنسخر بها وملء جوارحنا شمخة وفخار ، والعزاء كل العزاء ، اننا ما تنكبنا عن سبيل الاباء ، ولا سرنا في ركاب الوزراء والسفراء . ولا ابتذلنا حرمة القلم بالثرثرة والرياء ، بل عصمناه سيدا جامح الكبرياء ..

* * *

اما دعوة القروي وفرحات فلها حديث آخر . انها تشبه النفضة وهي المطرة التي تصيب ارضا وتخطىء اخرى . فأدباؤنا المهجريون الذين يستحقون مثل هذه الدعوة الرسمية والحلول ضيوفا على الحكومة ، كثيرون ولا شك . ونخطىء أشد الخطأ اذا فاضلنا بين الواحد والآخر ، فلكل منهم ميدانه ، وبيانه وشيطانه وسحبانه ولسانه وسنانه .

وربما كان هطول هذه النفضة على القروي وفرحات ثم عبد المسيح حداد صاحب السائح المحتجب في نيويورك من باب الفرض الاساسي هو الغرض السياسي .. مع هذا كانت المطرة غير منصفة ، هطلت في أرض فيضا فارتوت وسقت نخيلها واصابت اخرى برذاذ بللها ولم ينقع غليلها . ففرحات كان مغبونا بالنسبة الى أدبه والى القروي . كانت مدة الضيافة محدودة لايام معدودة . وعدوه بطبع مختارات من دواوينه ، فما بروا بالوعد ، ولا رسموا له مرتبا شهريا اما القروي فكانت له حصة الاسد من بحبوحة وضيافة واسعة ومرتبات شهرية دائمة ، ومكافأة مالية سخية مقابل طبع منتخبات من ديوانه . نعم ان هذه المناخب لم تظهر ، ولكن المكافأة المالية الكبيرة عرفت طريقها الى صاحبها .

أما عبد المسيح حداد فقد اسهم في الانفاق على الدعوة والزيارة اذ دفع تذكرة السفر بالطائرة ذهابا وايابا من جيبه . يقول العرب في التعبير عن الغبن ونقصان الحصة قسمة ضئزى وفي هذا المقام يصح القول دعوة ضئزى ..

* * *

وأراك يا صاحبي ترجو خيرا كثيرا من وراء « دعوة الادباء المهجريين الى زيارة البلدان العربية ورؤية اوطانهم حرة مستقلة ، على أمل ان تذكي نيران الحماسة في قلوبهم وتجدد نشاطهم وتمحو بعض ما اعتور اذهانهم من جمود » .

فقل لي بربك هل تجدد نشاط القروي وفرحات ، وهل ازدادت نيران الحماسة تأججا في صدريهما ؟ شتان بين ما نعما به في البرازيل من خصب خصوب ، وما عانياه في الوطن من جدب جديب ..

وتقول ان « في وسع الحكومات العربية ان تتولى طبع دواوين الشعراء المهجريين . نعم بوسعها ان تحقق هذه الامنية الغالية لخير الادب العربي الذي يعتز بهذا

التراث ولكن « الوسع » شيء ، « والارادة » شيء آخر . واية قيمة للوسع اذا لم يقترن بالارادة ، والقضية كما رأيت لا تعدو هذه النقطة وهي ـ الغرض الاساسي هو الغرض السياسي ـ ولذلك رأيناها تنفق بسخاء على (طبع منشورات تنطوي على دعاية صورية) وتنفق أضعاف الاضعاف على الاقذم المعروضة للبيع او الايجار في سوق النخاسة السياسية الدعاوية . ولذلك رأيناها تهمل طبع مختارات القروي وفرحات لان قصائدها لا تحقق لها اغراضا سياسية دعاوية ذات طابع معين . انها لا تحفل بالادب حبا للادب . فكيف تأمل ان تطبع دواوين الشعراء الاخرين ، ان في الوطن او في المهجر .

ولقد كان الادب كالملح يصلح ما تفسده السياسة. أما في هذه المرحلة الرهيبة ، في هذه المرحلة الداجية المحلولكة العاصفة التي نرجو ان تجتازها الشعوب العربية بسلامة صدر وسكون نفس ، اما هذه المرحلة التي ثار بركانها وتسعرت نيرانها واستيقظ للشر ثعبانها وتعبث جائعة غربانها ، فان السياسة أفسدت هذا الملح ، فاذا القلم يسير في ركابها معفرا مسخرا مزورا .. هذه حال من حالات الادب ، في اسوأ مرحلة عرفها العرب .

* * *

أما صحافتنا العربية المهجرية ذات الفضل الجزيل والحال الهزيل فأنني احني الرأس امام بطولتها المتسامية ورسالتها المتعالية . أحيي فرسانها المقارعين . الصابرين على بؤس السنين . الراكبين الى العلياء جوادها الامين . الاسخياء المحرومين . والجوادين المهزولين . والعراة الكاسين . والجياع المطعمين . احيي فرسانها الاحياء . واترحم على من طوتهم الغبراء . وفي الصدر انياب الشقاء . وفي الروح بهجة وبهاء . وفي النفس عزم واباء . انهم سدنة الادب المهجري . وصحفهم ارضه ومنبته الدافىء العبيري . وبستانه المثقل بالثمر الاجنبي الشهي . لقد اطعموا وما أكلوا . وجادوا وما تسربلوا . وجاهدوا فما منوا ولاتفاضلوا . وطاردهم العسر فما جبنوا ولاحفلوا . وشربوا كأس العقوق فما عذلوا ولارذلوا . وكم سكبوا الفكر خمرا على الطروس ، فما قرعوا الاكواب على الجفاف ولا نهلوا . وكم غربلهم ابناء العجل الذهبي فما نخلوا ولا جهلوا . وما اكثر ماجربهم الشيطان فطردوه وبسملوا وحوقلوا . يا لله ما اصدقهم واعرقهم . ما انبلهم وامثلهم . ما اسمحهم وارجحهم . ما اصبرهم واغفرهم . ولكن اين البصير الذي ينظر . واين الفاضل الذي يقدر . واين القلب الذي يشعر واين الذهن الذي يذكر . واين اليد التي تبر وتشكر . واين الوفاء الذي لا يضل طريقه ولا يعثر . واين العدل الذي لا يجحد ولا يكفر ..

يا لبرية التيه كم فيها من سراب . متلألىء خلاب . ولا ماء ولا شراب . ولا ظل ولا رطاب . ولا نامة غير عواء اليباب ... فلمن النداء والرجاء . ولا اذن ولا عين ولا اصغاء ، غير تلك الكبرياء الشمطاء العجفاء . ومن تستنفر ومن تنبه ومن تناجي بالدعوة الزهراء ؟

لقد تقوضت دول الامويين والعباسيين والاندلسيين ، وتصرمت انفاس الخلفاء والولاة والوزراء . من كانوا أدباء وشعراء وعلماء . لقد عشقوا الحرف ورفعوا من شأن الكتاب ، فكان للادب في ظلالهم عرش ومحراب وجنود وحجاب . وبحبوحة ورحاب وما ابعد حالنا اليوم عن حالنا بالامس ، وقد اغلقت الابواب ، وتسدل الحجاب .

وهذا لا يعني اني متشائم ، واني سلبي لا والله لست بهذا ولا بذاك ، ولكنها حالة شاذة غير طبيعية وقد تقصر وقد تطول ، ولكنها ستزول ، ذلك بأني مؤمن أشد الايمان بالناموس الطبيعي القائلة : لا يصح الا الصحيح ولا يبقى الا الافضل والاكمل ، واذا كنت قد رويت ما رويت ، فلم أخرج عما لمست ورأيت . فسجلت للتاريخ كيت وكيت ..

* * *

وبعد ، فلا على الادب المهجري في العالم الجديد ، اذا انقطع عنه الوحي والتغريد . لا عليه ان يرقد بسلام وجلال بعد جهاد سبعين سنة حفلت بالروائع من ابداع وتجديد ، لا عليه ان يمضي الى مصيره المحتوم بعدما ايقظ النائمين . ونبه الغافلين . وصال بطلا وجال عملاقا في الميادين . وفتح للفصحى فتحها المبين . لا عليه اذا افل نجمه وقد اضاء في العالمين ، وغاض زيت سراجه وقد كان هديا للمهتدين يوم

كانت الظلمة تغشى عيون المبصرين • والاستبداد يلهب النفوس بسوطه اللعين • والجمود دلال الشارين والبائعين • والفساد يحز في قلوب المصلحين ،والتقهقر يحشرنا في صيرة الخانعين •

لا عليه اذا استلقى على فراش الاحتضار • وعلى رأسه اكليل غار ، وعلى صدره قلائد العزة والفخار • وفي عيناه نور ونار وفي يسراه اخصاب وثمار • وفي شفتيه الغاز واسرار ، وفي عينيه رؤى واقمار ، وفي انفاسه عبير صبابات وازهار ، وعلى هامته هالة اعظام واكبار ، وفي جوانحه زفرات الحنين الى الديار ، وشبقات انغام واوتار ، لا عليه ، فقد ادى رسالته الرفيعة التي ملأت الاذهان والابصار أما سار على قدميه جبارا وأي جبار • غير مستعين بعكاز ودينار • أما بنى بساعديه منارا أثر منار ، وزرع الضياء واستنبت الاسحار ، فاذا الفكر العربي يمزق الخمار والستار • ويهدم الاسوار ، وينطلق في الافق الزهار •

ومعاذ الاباء ان نلتمس لهذا الادب العصامي الباذخ من يرفده • ومن يحنحن عليه ويعضده • ومن يحسحس له ويفتقده • وهو الانوف الذي لم تمتد لنوال يده • عاش حرا عزيزا له الجمال عرشه ومعبده • وله الابداع محجه ومقصده • والحب اله ومحتده • والنور قصده ومنشده • والعطاء شمسه وفرقده ، والخلود غده وسرمده •

ومعاذ الكرامة ان نستنفر لادبنا المهجري من لا يستنفرون • وان نستقدرله خيرا ممن لا يستقدرون• وان نستصرخ له من لا يستصرخون • وان نستنجد له جماعة لا يستنجدون • وان نستغيث له قوما لا يستغاثون • انهم في سياستهم الهدامة ماضون ، وفي ضلالهم يعمهون • والى التنابذ منصرفون وفي المهاترات والشتائم غارقون • وعلى جمر الاحقاد يقومون ويقعدون ولهم المواجد سنة وقانون ، وكم يدعون ويتبجحون • وكم يزورون ويفترون • وكم يكيدون ويتآمرون • وكم هدموا ويهدمون ، وكم خجلنا وهم لا يخجلون ولا يتورعون ، وكم تقاسي شعوبنا مما كان ومما سيكون • أمثال هؤلاء تنادون ؟ يا لله كم انتم تحسنون الظنون ••

واذا كانت شمس الادب المهجري آخذة بالمغيب ، وشيخوخته تنذر باليوم العصيب والرزء الرهيب ، فلندعه يحتضر كريما عزيز الشان ، وليرقد بسلام وحنان وامان ، حسبه انه انتصر لقضايا الفكر والحرية والانسان، ومزق اساطير الطغيان ، وطهر النفوس من دنس الاوثان، اما كان ادب ثورة وبنيان ، ادب انطلاق واحسان ، أدب حب وايمان ، أدب نفس ووجدان ، أدب حياة وعنفوان • وهل بعد هذا الثراء مطمع في تاج وصولجان؟

واذا كان قد انقطع عنه الوحي او كاد ، وقد جاهد في سبيل الفصحى والعروبة انقى جهاد • فلا بأس ان ينقطع هذا العلوي من الزاد ، اليس قد ادى رسالته واشرع للحق رايته وصان للحرف كرامته ، ورفع مكانته ، وسلم للتاريخ امانته ، فليلعن التاريخ بعد هذا من نام عن واجب الرعاية ، وليبارك من احسن الوصاية وبذل العناية • اما الفارس المجهول ، اما الاديب المهجري فله الله وله في المجد كفاية • وله في الصوفية وقاية وغاية • لقد عاش هذا الادب عمره حرا عزيزا كبيرا • فلنصن له كرامته وليلفظ انفاسه حرا عزيزا كريما •

فعلام الشفاعة بعد هذا وفي الشفاعة غضاضة السؤال • وعلام الضراعة ، وما كانت قط مورد الرئبال • وسبيل الابطال ؟

وليس لنا وهذه حالنا وحالهم ، الا ان نصلي لاجلهم مستغفرين لهم ذنوبهم ، وان نبتهل الى الله لاجلهم فلعل ابتهالنا يوقظ قلوبهم ، اننا لا نملك غير الصلاة الحارة الخاشعة تنبثق من الاعماق وترتفع في الآفاق • عسى أن يأتينا فرج قريب ويوم خصيب ولعل تلك المحنة الكبرى التي تعانيها شعوبنا تنقشع غيومها وتنجلي سماؤها • فاذا النغمة الخرساء بلبل صداح ، واذا السطور السوداء ، فجر وضاح ، واذا الحرية الكسحاء ، شمس تغمر البطاح وتحمل الدفء الى الارواح •

ولرفاقنا المهجريين شوقنا ومودتنا • وللربوع التي رأينا فيها نور الحرف حنيننا وزفرتنا •

حمص — كانون الاول ١٩٦٢

نظير زيتون



مسرحية

الدكتور محمد حاج حسين

ـ المشهد الاول ـ

« جميل بثينة مستلق في مضربه ، وعلى جبهته امارات التفكير البعيد ، وفي عينيه قلق ، انه على مفترق الطرق ، وقد بدا فريسة لاضطراب شديد . يخفق باب المضرب ، ويدخل عليه كثير عزة . ينهض جميل ، ويعانقه » .

جميل : أهلا وسهلا بأخي العزيز .

كثير : أنا سعيد بلقياك يا شاعر الهوى العذري .

جميل : زادك الله سرورا يا شاعر الحب .

كثير : ألم تهدأ بلابلك قليلا ؟

جميل : وأنى لها الهدوء وأنا فريسة آلام لا قبل لانسان بها ؟

كثير : الى متى تظل فريسة الاشجان يا بن معمر ؟.

جميل : أن يحجبوا بثينة عني ، فثق يا أبا صخر أنهم لن يستطيعوا أن يمنعوا عيني عن البكاء .

كثير : أضرع الى الله أن يلهمك الصبر .

جميل : انها تعيش في قلبي أمنية عذبة . ولن يستطيع أي انسان ان ينتزعها من ضميري .

كثير : صدقت يا سيد الشعراء .

جميل : الى الله بثي وشكاتي . وهو الوحيد الذي يعلم ما ألاقي من جمرات الوله الدائم .

كثير : أنت سيد المحبين بدون منازع .

جميل : أنت أدرى بالهوى مني يا أبا صخر .. فهو النار التي تحرق وتأتي على كل شيء .

كثير : ما أقسى الحب يا جميل .

جميل : لو استنطقت هذه البيد لحدثتك عن عذابي وسهدي ودموعي .

كثير : العذاب في الحب لذيذ .

جميل : لقد طفح بي العذاب حتى لا سبيل الى المزيد منه ، ان كل خطرة نسيم تذكرني ببثينة ، وكل سقسقة عصفور تحرق قلبي لانها تذكرني بصوتها الندي .. والظبي الشارد يعيد الى ذهني لفتاتها ، والليل الذي يغفو على الصحراء يلهب وجداني لانه يمثل لي سواد شعرها السبط .. واها لك يا جميل كم تتألم .

كثير : الحب غذاء الشاعرية ..

جميل : والله يا أخي ضقت ذرعا بهذه الشاعرية .. خذوا مني شعري ، وامنحوني بثينة .. انها الحقيقة الخالدة .. رنوة من عينيها الساجيتين أعذب على قلبي من كل الشعر الذي هتف به الشعراء .

كثير : وأنا أتعذب مثلك .. ان عزة مستراد خاطري ، ومناي .

جميل : ادعو الله ان يجمع شملك بها .

كثير : ولكنني لم ابلغ من الحب مقدار ما بلغته .

جميل : الحب ليس له حدود .. انه يندفع كالسيل الآتي كاسحا امامه كل شيء .

كثير : انت استاذي الذي أترسم خطاه ، ولكنني لا اكتمك انني في أعماقي كثيرا ما أهزأ بالحب .

جميل : كيف ؟

كثير : ذات مرة رأيت فتاة فارعة الطول ، رشيقة الخطوات ، فيها دل وملاحة . وكانت محجبة فاندفعت وراءها حتى صاقبتها ، ورحت أسكب في أذنيها عبارات الغزل .. واستدارت الي قائلة : ولكن أين أنا من عزة . فقلت لها : ان رحلك أجمل منها ، وفجأة اسفرت عن

وجهها ، فاذا هي عـزة .. تصور خجلي وارتباكي .

كثـير : أنت سيد المحبين بدون منازع .

جميل (ضاحكا) لك الله يا أبا صخر .. ألا تعلم أن الحب لا يعرف التعدد .. والقلب لا يمكنـه ان يتزعزع لحظة عن الحبيبة .. فأنا لـو أعطوني نساء العالم بدلا من بثينة لرفضت .

كثـير : وهل يستطيع أحد أن يبلغ في حبه ما بلغت ؟ انك مثال الحب العذري البعيد عن كل شائبة .

جميل : بلغني أن وجدك كان عظيما عندما مات امامك محمد بن الحنيفة رحمه الله .

كثير (متجهما) لا تقل انه مات ..

جميل : ماذا أقول اذن ؟

كثـير : الامام لا يموت .

جميل : وماذا يفعل الآن ؟

كثـير : لقد توارى في جبل رضوى ، ومعه اربعون من أصحابه ، وعنده عين ماء نضاحة ، وسيرجع الى هذه الدنيا ليقضي على أهل الزيغ والضلال .

جميل : أبلغ بك التشيع هذا الحد من المبالغة ؟

كثـير : ان امامنا محمد بن الحنفية كان يعلم الغيب . ولقد حدثني مرارا بأمور قمت بها بعيـدا عنه .. فأدركها بقوته الخارقة .

جميل : بلغني انه كان يترصد أخبارك لانه كان يحلو له العبث بك .. حتى اذا علمها من اصحابك أخبرك بها ، وهمه ان يضحك من غفلتك ..

كثـير : حاشا الامام ان يفعل هذا .

جميل (منتفضا) ما لنا ولهذا الحديث الذي لا يجدي؟ . أنا في الحقيقة على مفترق الطرق .. ولاتهمني سوى بثينة .

كثـير : لعن الله تقاليد الصحراء التي تمنع زواجك بها لانك اندفعت مع عواطفك ، فغنيت حبك ، ومجدت جمالها .

جميل : يجب أن نخضع لها .. فالله سبحانه وتعـالى الذي برأ الجمال ، خلق في قلوبنا الحساسية لتفتك بها سهام العيون . ويجب أن نتعذب .

كثـير : لنقول الشعر الجديد .

جميل : نسيت أن أسألك يا أبا صخر من أين أقبلت ؟

كثـير : من عند أبي الحبيبة ، والى الحبيبة .

جميل : ماذا تقصد بهذا ؟

كثـير : أقبلت من عنـد أبي بثينـــة ، واني ذاهب الى عزة .

جميل : أورأيت بثينة ؟

كثـير : انني قادم من لدنها الآن .

لاميل : لا جرم اذا عبقت منك أجمل رائحة .. ما أسعد عينيك اذ شامتاها . دعني أعانقك يا أبـا صخر .. دعني أشم عبقها في أردانك

كثـير : تذكرتك طويلا ، وأنا في مضاربها .

جميل : ان لي اليك حاجة ، ولا بد من قضائها .

كثـير : حاجتك مقضية .

جميل : ترجع الى بثينة ، وتواعدها لي موعدا .

كثـير : اني أستحي من أبيها ، وعهدي به آنفا .

جميل : لا بد من ذاك .

كثـير : متى أحدث عهدك بها ؟

جميل : بالدوم وهم يغسلون ثيابا .

كثـير : انني ذاهب اليها .. وأرجو ألا تطول غيبتي ، ولا بد أن أحقق أمنيتك .

جميل : أريد أن أراها ، والا مزقني الجنون . اهمس في أذنها ان جميلا يرغب في وداعهـــا . رافقتك السلامة .

ـ المشهد الثاني ـ

ـ نفس المنظر الاول ـ

جميل : (يفتح ذراعية لاستقبال كثير) عودة ميمونة ان شاء الله يا أبا صخر .

كثـير : لك البشرى يا أخي .

جميل : البشرى .. واحسرتاه .. ومتى خفقت هذه هذه الكلمة الحلوة في مسمعي ؟ لقد اعتدت على الآلام تفري مهجتي .

كثـير : لا بد أن تشرق الشمس بعد يوم مطير .

جميل : وهل معقول أن تشـرق الشمس ، وكـل أيامي مطيرة ؟

كثير : أشرقت الآن .. وتستطيع أن تنعم بدفئها اللذيذ .

جميل : لقد أحييت الامل في قلبي المصوح يا أبا صخر.

كثير : أمل رائع .

جميل : عجل بالبشرى التي تزعمها .

كثير : وافرحتاه بتحقيق أمنيتك .

جميل : هل استطعت أن تهمس في أذن بثينة برغبتي بالاجتماع بها .

كثير : كيف يتسنى لي هذا .. وذووها حولها كالأسد الضارية .

جميل : (شاحب الوجه) أتعبث بي ياكثير ؟ حرام عليك أن تهزأ بآلامي ودموعي .

كثير : رفقا بقلبك الكبير يا بن معمر .

جميل : أصدقني ماذا فعلت .

كثير : كل خير .

جميل : انني أسمع منك الكلمات المعسولة ، ولكنني أرى النتيجة سوداء مثل حظي الخائب .

كثير : لا تصدق ما يرجف بـه الراجفون ان بي غفلة .. أنا ذو حيلة بارعة أتوسل بها لقضاء أربتي .

جميل : لا شك عندي في حسن تدبيرك ، وألمعيتك في الوصول الى غرضك .

كثير : أنا أنهل من معينك الذي لا ينضب يا سيد من قال شعرا هتف للحب الصادق النقي .

جميل : عجل بالبشرى اذا كان ثمة بشرى .

كثير : طب نفسا ، وقر عينا .. لقد أديت المهمة الموكلة بي على أتم وجه وأحسنه .

جميل : سأشكرك ما حييت .

كثير : لا مجال للشكر .. لقد قمت بواجبي .

جميل : بدد عني القلق ..

كثير : وأنا فـي طريقي الى بثينة قدحت زناد تفكيري .. كيف أصل اليها،وأبلغها رسالتك؟ فالمهمة كما تعلم شائكة .

جميل : صحيح .

كثير : وفي طريقي اليها برقت في ذهني فكرة عظيمة.. أضاءت لي الطريق ، وعلمت انها توفيق من الله برا بقلبك الكبير الذي أذواه العشق .

جميل : لقد تهيمني الهوى حتى لا مجال لمزيد .. لماذا تعذبني ؟ أتوسل اليك ان تنقع غلتي بالخبر السار الذي تحمله معك .

كثير : تساءلت بيني وبين نفسي .. كيف ابلغها رسالتك ؟ والاجتماع بها دونه خرق الجبال.. وفجأة اهتديت الى الحل المنشود .. فرجعتي اليهم بسرعة لا بد أن تثير التساؤل ..

جميل : والنهاية ؟

كثير : نهاية ماذا ؟

جميل : هل واعدتها لتقابلني ؟

كثير : رفقا يا جميل .. لقد تعبت كثيرا حتى حققت لك أمنيتك .. وأعانني عليها ذكاء بثينة ، وصدق حسها ، وقلبها الواثق الذي وعى الرسالة ، وتجاوب معها بسرعة البرق .

جميل : معنى هذا انك واعدتها ..

كثير : أجل .

جميل : أعدت الي روحي التي أوشكت أن تغادر جسدي .

كثير : لا يفهم العاشق الا العاشق .. ولا يقدر عذاب المحب مثل المحب .

جميل : صدقت .

كثير : رجعت الى أبيها عودي على بدئي .. فعجب من شأني ، وخشيت أن يفطن لسر عودتي ، فتوجست ، ولكنني تذرعت بالحيلة وقال لي : ما ردك يا بن أخي ، فأجبته : لقد قلت أبياتا عرضت لي أحببت أن أنشدكها . قال : وما هي ؟ : قلت :

وقلت لها يا عز أرسل صاحبي
على نأي دار والرسول موكل
بأن تجعل بيني وبينك موعدا
وأن تأمريني بالذي فيه أفعل
وآخر عهد منك يوم لقيتني
بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

ولما فرغت من انشادها طرب لها أبو بثينة ، وقال لي : انه السحر الحلال • وفجأة ضربت بثينة الجدار • وقالت : اخسأ اخسأ • فقال لها أبوها : مهيم يا بثينة • فقالت : كلب يأتينا اذا نوم الناس من وراء الرابية •

جميل : وماذا بعد ؟•

كثير : ألم تفهم يا صاح ؟

جميل : ماذا تريد أن أفهم ؟

كثير : لقد ضربت لك موعدا يا جميل •

جميل : أين ؟ ومتى ؟

كثير (مزهوا) لا غرو اذا كنت أذكى الناس ••

جميل : لا شك في هذا •

كثير : لقد واعدتك اذا نوم الناس وراء الرابية •

جميل : أنت واثق من كلامك •

كثير : ثقتي من وجودي معك ••

جميل (يبتسم) كيف أزجي شكري لك يا كثير ؟• انني أعتزم أمرا ، ولا بد من وداع بثينة ••

كثير : استودعك الله يا جميل •

(يتصافحان •• ويمتطي كثير عزه راحلته ، وينطلق في الصحراء •• وجميل يشيعه بنظرات ناطقة بالحب والشكر) •

ـ المشهد الثالث ـ

(الليل يغفو على الصحراء • والسكينة شاملة • والقمر متوار وراء الغيوم •• وبين الفينة والاخرى يتسلل منها ليلقي نوره الشاحب على الرابية التي جاءها جميل ينتظر بثينة بعد ان هجع الحي)

جميل : أين أنت يا توأم الروح ، ومهوى الفؤاد ؟ لماذا تأخرت عن المجيء يا بثينة ؟ هل فطن ذووك لحيلتك فحالوا بينك وبين موافاتي ؟ أم هل خدع كثير بهذا الموعد ؟

يا رب • يا باريء النسمة ، وفالق الحبة •• الى متى هذا العذاب ؟• أما آن لهذا الخافق الملتاع أن يقر ؟

(يتمشى ذهابا وايابا ، ونفسه في ثوران •• وتتعثر رجله في الرمل ، فيكبو ، وينهض ، وينفض الرمل عن ردائه •• ويتطلع الى مضارب الحي ، فيرسل زفرات وجيعة •• ثم تتألق عيناه ، وينشد) :

فلو أرسلت يوما بثينة تبتغي ،
يميني ولو عزت علي يميني •
لأعطيتها ما جاء يبغي رسولها
وقلت لها بعد اليمين سليني •
سليني مالي يا بثين فانما
يبين عند المال كل ضنين
فما لك لما خير الناس أنني
أسأت بظهر الغيب لم تسليني •
فأبلي عذرا أو أجيء بشاهد
من الناس عدل أنهم ظلموني
ولست وان عزت علي بقائل
لها بعد حرم يا بثين صليني •
ونبئت قوما فيك قد نذروا دمي
فليت الرجال الموعدين لقوني •
اذا ما رأوني مقبلا عن جنابة
يقولون من هذا وقد عرفوني

(يترامى الى مسمعه هسيس •• ويرهف أذنيه • ويتطلع بلهفة الى مصدر الصوت •• وينجلي الشبح عن بثينة) •

جميل (يخف اليها فرحا) وافرحتاه بلقائك يا بثينة •

بثينة (تلهث) يا مرحبا بالغالي على قلبي •

جميل : هل حقيقة أنت بقربي ؟

بثينة : أنا بقربك ••

جميل : ان انفاسك تهب علي فتفعمني بالسعادة •• ان ريح الجنان تهب من اعطافك يا أرق عذراء في العرب •

بثينة : بنفسي انت يا جميل كم تلاقي من هوانا ••

جميل : والله لو حملت هذه الرابية بعض ما احمله لدكت •

بثينة : وكذلك أنا يا جميل •• انك في صميمي •• وبئست الحياة وهي بعيدة عنك •• انني بائسة •• فارحمني •

جميل (يتطلع الى السماء) لماذا كتبت علينا هذه الشقوة يا رب ؟

بثينـــة : اشملنا برحمتك ياخالق السموات والارضين •
جميل : هل أنت واجدة يا بثينة ؟
بثينـــة : واجدة عليك ؟ • ولماذا ؟
جميل : لقد أبلغوني هذا •
بثينـــة : كذب الوشاة • أفديك بنفسي •
جميل : ما أعذبك •• انك زهرة فواحة في صحرائنا •
بثينـــة : وأنت النور الذي يضيء ظلام حياتي •
جميل : بثينة
بثينـــة : نعم • يا مهوى فؤادي •
جميل : أتعلمين لماذا رغبت في الاجتماع بك ؟
بثينـــة : الغيب لا يعلمه الا الله •
جميل : أتيت لأودعك الوداع الاخير •
بثينـــة (منتفضة) ماذا تقول ؟
جميل : سأغادر هذه الربوع الحالمة الى الابد •
بثينـــة : تغادرها ؟ •
جميل : نعم يا بثينة •
بثينـــة : الى أين ••
جميل : الى أي مكان في بلاد العرب ، فكلها اوطاني •
بثينـــة : ولمن تتركني ؟
جميل : سأستقر في مصر ، وأنتظر هناك لقاء ربي •
بثينـــة : كف عن هذا المزاح •
جميل : العذاب متصل ، والقلق دائم ، والشوق اليك لا يبرحني لحظة واحدة •
بثينـــة : وهل يضيق الانسان بآلامه ؟
جميل : تصوري حالتي •• انك تعيشين في قلبي ليل نهار ، ولا تبرحين أعماقي دقيقة واحدة •• وبي أشواق لا نهاية لها لضمك الى صدري ، والاقتران بك حتى نستحيل الى روح واحدة في جسد واحد •• وتصبرت كثيرا ، ولكن الصبر مزقني ، وأصبحت التعاسة مجسمة بي ، لهذا فكرت في الهجرة الى اي بلد عربي ، الشام ، العراق ، مصر • بلاد العرب كلها أوطاني •

بثينـــة : معنى هذا انك تهرب من الحب •
جميل : وهل أهرب من بثينة ؟ •
بثينـــة : اذن ما معنى نزوحك عن الربوع التي نجلتك
جميل : أريد أن أهرب من هذه التقاليد القاسية التي حالت بيني وبين زواجك •
بثينـــة : وهل لنا حيلة في دفعها ؟
جميل : ما ذنبي يا رب اذا كنت شاعرا استجبت لنداء الجمال • وما جريرتي اذا غنيت سحرك بالكلم العذب الجميل ؟ ان حبي طاهر لم تلوثه شائبة ، ومع هذا هزأوا بقدسية هذا الحب البريء ، ومزقوه ببراثنهم الدامية •• ان عشيرتك تنكرت لي ، واستعدت علي السلطان كأنني كفرت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم • يا رب رحمتك وعفوك •
بثينـــة : (تبكي) رحمتك يا رب •
جميل : انت تبكين يا بثينة •
بثينـــة : (تمسح دموعها) وهل يجدي البكاء يا قرة العين ؟
جميل : عيناك الغاليتان لم تخلقا للدموع •
بثينـــة : وهل خلقت عيناك للدموع ؟
جميل : أجل • لم تخلق الا للدموع ، وأنا لم أخلق الا للأسى •
بثينـــة : حياتي بعيدة عنك ضرب من الموت •
جميل : كفاك ما لاقيت من أوصاب لأجلي
بثينـــة : الموت في سبيلك أعذب لدي من الماء الفرات في يوم لفاح الأوار •
جميل (بعد تفكير) : بثينة • هل لي أن أطلب اليك أمرا قبل رحيلي •
بثينـــة : اطلب ما تروم يا منية النفس •
جميل : انني متردد •• خائف •
بثينـــة : لا تخف يا جميل •• روحي لك فداء •
جميل : (محمر الوجه) هل تجودين علي بقبلة ؟ •

بثينـــة : قبلة !!.

جميل : قبلة تكون لي الـزاد في رحلتي الاخيرة ، وتسعدني الى آخـر عمري ، تصدقي بهـا علي يا بثينة .

بثينة (عابسة الوجه) : جميل .

جميل : نعم يا بثينة .

بثينة : أنت تقول هذا ..

جميل : نعم .

بثينـــة : اين طهارة حبنـا ؟.. والله لو علمت انك ستطلبها لما وافيتك الى هذه الرابية بعد ان دب الكرى في جفون أهلي . الحب طهارة وتضحية وسهد وحرمان وخشوع يا جميل.

جميل (يفتر ثغره عن ابتسامة مشرقة) ما اسماك يا بثينة .. وهل تعتقدين انني كنت جـادا في طلبي ؟

بثينـــة : انني متأكدة انك لا تعني ما تقول .

جميل : والله لو وافقتني لأطحت رأسـك بسيفي .. انني أمتحن طهرك .

بثينـــة : حمدا لله .. انني اجتزت الامتحان بنجاح .

جميل : اذا عز علينا أن نتحد في هذه الدنيا ، فلا بد أن يرحمنا الله في الآخرة ، فيجمع شملنا .

بثينـــة : سبحانه ما أعظم رحمتـه .. فلا بـد أن ينصفنا بعد الموت .

جميل : هذا هو أملي الوحيد .

بثينـــة : أوشـك الفجـر أن يتنفس ، ونحـن نتناجى .. وأشـد ما أخشـاه أن يستيقظ الحي .. فهل تأذن لي في العودة الى أهلي .

جميل (يترقرق الدمع في عينيه) اذهبي مصحوبـة بالسلامة .

بثينـــة : لا تبك يا جميل .

جميل : كيف لا أبكي ، وأنا لا أدري اذا كانت عيناي ستقعان عليك مرة ثانية .

بثينـــة : أفهم من هذا أنك مصر على مغادرة هـذه الديار .

جميل : كل الاصرار يا حبيبة القلب .

بثينـــة : أنك تنعي علي نفسي .

جميل : وداعا يا بثينة ..

(يمتطي راحلته ، ويلوح لها بيده ، والـدمع يبلل وجنتيه ، فتشخص اليه وقد تجمدت الدموع في مآقيها .. وتبتلعه الصحراء) .

● محمد حاج حسين



ابو فراس الحمداني

تنوعي

عبد الحفيظ السطلي

أيها السادة !

ان امة تنظر الى ماضيها بعين مجلة ، لهي الامة التي تمسك بنيان البقاء ، ذلك لان الماضي خير باعث للعصبية القومية ، واذا ما ضعفت هذه العصبية ، كان ذلك ايذانا بأن الامة في طريقها الى أبواب الفناء . واذا نظرنا الى فرد كان له دور في أحداثها ، فانما ننظر الى حقيقة الامة التي نهضت به في فترة في تاريخها ، لان الفرد ، في واقعه ، هو صورة لتكامل عناصر قومية وسياسية واجتماعية في حيز من تاريخ الامة الطويل . ولئن كنا نذكر اليوم أبا فراس الحمداني ، فذلك لانه، في نظرنا ، امثولة تحكي لنا صفحات من تاريخنا القومي والبطولي والادبي ، بل لانه نبضة من نبضات قلب هذه الامة ، التي تسعى اليوم بجد وباخلاص وتضحية ، لتقيم وحدتها ، فتحقق البقاء لها ولقوميتها .

فضعف العصبية العربية ، وانقسام الوطن العربي، هو الذي ألوى بمجد الدولة العربية الكبرى فيما مضى ، اذ كان القرن الهجري الرابع ، فترة شؤم على الحكم العربي ، وحسبنا ان نلقي بنظرة الى سنة (٣٢٤ هـ) ، اي بعد ميلاد أبي فراس بأربع سنوات ، حتى نرى ما آلت اليه البلاد من تجزئة وفوضى ، فالبصرة وواسط في يد البريدي ، وبلاد فارس في يد البويهين ، والموصل والجزيرة في يد الحمدانيين ، ومصر والشام في يد الاخشيديين ، والمغرب العربي الافريقي في يد الفاطميين ، والاندلس في يد الامويين ، وخراسان في يد السامانيين ، واليمامة والبحرين في يد القرامطة ، وجرجان وطبرستان في يد الديلم . واما الراضي خليفة بغداد ، فلم يبق له ولامير أمرائه ابي رائق سوى بغداد . وهذا كله أفقد الخلافة قدرها ، فصار الخليفة العربي العوبة بأيدي الاتراك ، فهذا يخلع ، وهذا يقتل ، وهذا تسمل عيناه ، وحسبنا ان القاهر بالله ، الذي خلع وسملت عيناه سنة (٣٢٢ هـ) ، قد هبط الى المسجد في اليوم التالي لخلعه وعليه أسمال بالية ، فوقف بالباب يقول : « ايها الناس تصدقوا علي ، بالامس كنت امير المؤمنين ، وانا اليوم من فقراء المسلمين » !!

وضعف الخليفة العربي ، لم يكن الا لتسرب العناصر الاعجمية ، وتلاشي العصبية العربية ، مما قاد الى الفوضى ، وشجع على الفتنة في كل أرض ، وجعل تجارة الدين في يد كل طامع أوثار ، يشد بها الانصار ، ثم يقدح على زناد الثورة ، وهكذا فقدت الدولة العربية ما كان لها من عز ومنعة ، مما شد على سواعد الروم ، فاستعادت قوتها ، وانطلقت تستخف بالقوى العربية ، وتحاول ، اعادة سلطانها الى ما فقدته ايام الفتوح .

ولكن الله شاء لامة العرب ، أن تنبت فرسانا عربا ، من اسرة عربية ، هي أسرة آل حمدان ، فكان لهذه الاسرة شرف الدفاع عن امتها ، في بطولات خلدتها ايام سيف الدولة ، ومن هذه الاسرة شاعرنا ابو فراس .

ففي سنة (٣٢٠ هـ) يولد طفل في الموصل لسعيد بن حمدان ، فيسميه أبوه باسم « الحارث » ، وما كان يشك في مستقبل وليده ، لان اسرة الحمدانيين ما كانت لتنبت الا كل فارس مغوار ، ولذا كناه والده بـ « ابي فراس » وهي كنية الاسد ، ودرج الطفل في بيت جمع المجد من كل طرف ، وأحاط به الغر من كل جانب ، ولكنه ما بلغ الثالثة من عمره حتى جاء الغراب بنعي أبيه ، اذ قتل غيلة بالموصل ، لنزاع على الولاية والسلطان .

وهكذا شاء القدر لأبي فراس ان يعيش يتيما في رعاية أمه ، ولكن الله أراد لهذا الفتى أن ينشأ في رعاية اكبر فارس من فرسان اسرته ، فكان ان تعهده سيف الدولة بالرعاية • وكان سيف الدولة في خدمة الخليفة ، ينتقل بين بغداد والموصل والجزيرة ، ثم ما لبث ان أقام لنفسه امارة مستقلة في حلب وحمص ، واتخذ بلاطا يجمع أعلام عصره من الادباء والشعراء والعلماء • فنشأ أبو فراس بين مغاني الشعر والادب ، فراح يقول الشعر ، ويناظر أصحابه في مجلس ابن عمه ، مما جعل الامير يتبصر ما ينتظر الفتى من مستقبل ، فانطلق يشجعه ويحسن اليه ، ويعلمه أساليب الفروسية والحرب ، حتى امتلأت نفس أبي فراس بحب الفروسية والنضال والتضحية ، ولما اشتد ساعده ، جعل سيف الدولة ، يصطحبه في غزواته وحروبه ، وما أكثر هذه الغزوات حتى قيل ان سيف الدولة قد شن على الروم (٤٠) غزوة له وعليه • وكان الفارس الشاب أجرأ فارس الى جوار ابن عمه ، وكان شعره يخلد تلك الوقائع واحدة بعد أخرى ، وفي احدى قصائده مثلا ، ينقلنا من معارك جلباط ، الى العمق ، فاللكام ، فالبرج ، فمعارك خرشنة التي كانت لا تنقطع ، فاجتياز الفرات الى الروم ، ويقال ان سيف الدولة اول من فعل ذلك • ومما قاله في خرشنة مادحا سيف الدولة :

وما زال منا جار خرشنة امرؤ
يراوحها في غارة ويباكر
ولما وردنا الدرب والروم فوقه
وقدر قسطنطين أن ليس صادر
ضربنا بها عرض الفرات ، كأنما
تسير بنا تحت السروج جزائر

ثم ينقلنا الى معارك « مرعش » وأسر « قسطنطين » ابن الدمستق وهرب الدمستق وفي وجهه ضربة سيف :

ومال بها ذات اليمين لمرعش
مجاهيد يتلو الصابر المتصابر
وما زلن يحملن النفوس على الوجى
الى أن خضبن بالدماء الاشاعر
وأبن بقسطنطين وهو مكبل
تحف بطاريق به وزراور
وولى على الرسم الدمستق هاربا
وفي وجهه عذر من السيف عاذر

وفي مدرسة هذه الاحداث ، تكاملت شخصية أبي فراس ، فغدا « فارسا حقا » يجمع من مقومات الفروسية ، كلا من الشجاعة والقوة ، والاباء والفقه ، والوفاء والاخلاص ، والطموح والانفة ، والنزعة الى العصبية القومية • ونترك لابي فراس وحده ان يحدثنا بهذه العناصر الفريدة التي انطوت عليها أصالة نفسه •

اما اقدامه وشجاعته فقد حدثنا عنها في اخبار معاركه وغزواته ، وهي تنبع من مبدأ عربي يؤمن به ، هو مبدأ القوة في تحقيق ما يصبو اليه الفتى ، والا كان ذليلا لا محالة :

وما الذنب الا العجز يركبه الفتى
وما ذنبه ان حاربته المطالب
ومن كان غير السيف كافل رزقه
فللذل منه لا محالة ، جانب

ومبدأ القوة هذا جعل نزعة الفروسية تسيطر على كل ما في نفسه من احاسيس ، حتى أن من الطريف ان تنزلق في غزله أحيانا الفاظ الحرب ، امثال الاسر والفداء والغزو والجيش والجهاد والشهادة ، ومن ذلك رجاؤه الاستشهاد في هوى من يحب لان روحه ابدا **في جهاد :**

واذا يئست من الدنو
رغبت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هوا
ك ، لان روحي في جهاد

أو قوله :

أيها الغازي الذي
يغزو بجيش الحب جسمي
ما يقوم الاجر في غز
وك للروم باثمي

لقد سيطرت الفاظ الحرب حتى على جزء من

غزله ولهوه ، ذلك لان الفروسية قد غلبت على كل ما في نفسه ، وهذا ما يعلل صدوفه عن لقب « الشاعر » ، وحرصه على لقب « الفارس » :

نطقت بفضلي ، وامتدحت عشيرتي
وما أنا مداح ، ولا أنا شاعر

وما دام الرجل أميرا فارسا فليفخر بنفسه حتى في أشد آلام محنته كما سنرى ، ولكنه غالبا يفخر بقومه بني حمدان ، واذا أراد أن يفخر بهم غلبت عليه نزعة الفروسية وما يتصل بها حميد الصفات ، فلم ير فيهم الا المجد والبأس والجود :

لئن خلق الانام لحث كأس
ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا
لمجد أو لباس أو لجود

فالفروسية تستدعي الاباء والفخر سواء بنفسه أو بقومه ، ولكنها لا تحسن مع الخلق الرقيق ، وانما تستدعي العفة عن الدنايا ، واذا كان أبو فراس يحدثنا بشيء من التبذل في بعض مقطعاته ولا سيما أيام صباه ، فانه ليحدثنا عن نفسه في قصائد مطولة ، فنرى لاعج الحب والهوى ، ونراه يهم أحيانا بما لا يحمد عليه ، واذا بالفقه زاجر له ، ولها أعوان عليه من عقله وتقاه :

فيا نفس ما لاقيت من لاعج الهوى !
ويا قلب ما جرت عليك النواظر
ويا عفتي مالي ؟ ومالك ؟ كلما
هممت بأمر ، هم لي منك زاجر
كأن الحجا والصون والعقل والتقى
لدي لربات الخدور ضرائر

والفارس لا تكفيه العفة فحسب ، وانما لا بد من الاخلاص والوفاء ، ولو لبس الناس له اهاب السعالي أو الحرباء ، وأبو فراس على عفته مخلص وفي ، مع أنه يكثر ويطيل في غدر أصحابه ، سواء قبل محنته أو بعدها ، وقد رسم لنفسه مبدأ خيرا في معاملة صديقه ، فاذا غضب عليه ، عاتبه سرا ، وأثنى عليه علانية :

اني عليك أبا حصين عاتب
والحر يحتمل الصديق ويغفر
واذا وجدت على الصديق شكوته
سرا اليه ، وفي المحافل أشكر

والى هذا الوفاء والاخلاص ، جمع الى نفسه طرائق الخير في كل جانب ، فكان جوادا كريما ، فعالا للخير ، تراكا للشر ، وعرف حقيقة ذاته ، فكان طموحا ، لا تقف مطالبه عند حد ، ولا تقف أمانيه عند نهاية :

خليلي أغراضي بعيد منالها
فهل فيكما عون على ما أحاول ؟
وما المرء الا حيث يجعل نفسه
واني لها فوق السماكين جاعل
وللوفر متلاف ، وللحمد جامع
وللشر تراك ، وللخير فاعل

فأبو فراس جمع في شخصه عناصر الفروسية في كل وجه ، فهو الفارس بكل ما ينبغي أن يكون الفارس عليه ، من قوة واباء وعفة وطموح ، واعتداد بنفسه وبقومه من بني حمدان ، ولكنه لا يقف عند هذه العصبية القبلية ، وانما يذهب الى عصبية عربية أعرابية ، لاتقف عند قبيلة بالذات ، وانما تنطلق الى العنصر العربي على حد تعبيره ، أو الى القومية العربية كما نعرفها نحن في أيامنا ، وهذه النزعة العربية الواضحة كانت ردا على ما أحاق بالعصبية العربية آنئذ من اخمادها وتشتيت قواها على أيدي الاعاجم .

وقد نجد في شعره أخبار معارك خاضها ضد قبائل عربية أمثال بني كلاب ، ونمير ، وعقيل ، وطيء ، وأخبار هذه الوقائع قد تثير لدينا شيئا من الشك في نزعته العربية ، لان هذه القبائل عربية على كل حال ، والعربي ينبغي ألا يحارب أخاه العربي ، وهذا صحيح ، ولكن اذا تسلط على بعض العناصر العربية جماعة أو أفراد ، وحاولوا أن يضربوا بها عربا أحرارا ، كان لا بد من ابادة هذه العناصر ، ولو كانت عربية ، وأبو فراس يؤمن بهذا المبدأ ، ويضيق ذرعا بهذه العشائر ، التي تحاول الثورة به أو بابن عمه ، ويرى ذلك ، بمنزلة الجهل منها ، يحمل الحمدانيين على الجهل أيضا حين لا يجدون مناصا من ضربها واخماد ما تقوم به من فتن :

الى الله أشكو ما أرى من عشائر
اذا ما دنونا زاد جاهلهم بعدا
وانا لتثنينا عواطف حلمنا
عليهم ، وان ساءت طرائقهم جدا
ولو عرفت هذه العشائر رشدها
اذا جعلتنا دون أعدائها سدا
ولكن أراها ، أصلح الله حالها
وأخلفها رشدا ، لقد عدمت رشدا
وانا لنرمي الجهل بالجهل مرة
اذا لم نجد منه ، على حالة ، بدا

فالرجل ان حارب هذه القبائل بيده ، فقلبه حسرات لما يراق من دماء عربية ، فيدعو الله أن يصلح من أمر هذه القبائل ، فتدرك أنها والحمدانيين عنصر واحد ، ينبغي أن يتحد بأصالته العربية ، حتى يقف في وجه كل أعجمي دخيل • وهذه النزعة العربية تظهر في « نخوة » أبي فراس ، فنراه مثلا يخوض معركة رهيبة ضد بني كلاب ، فيوقع بهم ، وتحل الهزيمة بصفوفهم ، واذا بنسائهم تضج خوفا وخرقا ، وتلقي بأنفسهن الى ساحة الحرب ، فلما رآهن أوقف المعركة حالا ، ودبت النخوة العربية في عروقه ، لانهن عربيات على كل حال ، قبل أن يكن نساء عدوه من بني كلاب • ولانه ان غفر لبني كلاب ، فانما يرعى حق الجوار ، ويعود الى عنصره العربي الاصيل :

فلما سمعت ضجيج النسا
ء ناديت : حار ! ألا اقصر
أحارث ، من صافح ، غافر
لهن اذا أنت لم تغفر
فاني أقوم بحسق الجوا
ر ، ثم أعود الى العنصر

بل ان العامل القومي في ايقاف القتال ، يتضح تماما حين يصرح أبو فراس بأنهن « بنيات عمه » رغم أنهن نساء عدوه في تلك المعركة ، ولذا كان لا يسعه الا أن يرد الغنائم ويفك الاسرى ويوقف كل قتال ، ليرضي تلك النخوة العربية ، التي استطاعت أن تستثيرها نساء بني كلاب :

فلما أطعت الجهل والغيظ ساعة
دعوت بحلمي : أيها الحلم أقبل
بنيات عمي هن ، ليس يرينني
بعيد التجافي ، أو قليل التفضل
شفيع النزاريات غير مخيب
وداعي النزاريات غير مخذل
رددت برغم الجيش ما حاز كله
وكلفت مالي غرم كل مضلل

وتزداد وضوحا هذه النزعة العربية ، عندما يلتقي بالاعاجم وجها لوجه ، فابن رائق حاول قتل ناصر الدولة ابن عم أبي فراس ، فقام أبو عبد الله الحمداني فقتل ابن رائق ، وأبو فراس لا يصور هذه الحادثة ، على أنها نزاع بين آل حمدان وابن رائق ، وانما يكشف عن حقيقتها ، واذا بها صراع بين العنصر التركي المتسلط في بغداد ، والعنصر العربي الذي يمثله الحمدانيون ، ومن هنا كان حديثه عن علج العراق وقتله على يد أبي عبد الله الحمداني :

ولما طغى علج العراق ابن رائق
شفى منه لا طاغ ولا متكاثر
اذ العرب العرباء تبني عماده
ومناله طاو على الثأر ذاكر
وصب على الاتراك نقمة منعم
رماه بكفران الصنيعة غادر

وبما أن الاعاجم هم الذين يسيطرون على خلافة بغداد ، فقد كان ذلك طعنة في كبرياء الفارس العربي ، ولهذا فان هاجم بني العباس ، لما كان فيه من تشيع ، فهو يناقش مشكلة الخلافة ويراها من حق آل علي ، ولكن فجأة يقفز العامل القومي العربي ، الذي يحز في نفسه ، فيرسل الى بني العباس يقرعهم ، بعد أن خرج أمر الخلافة من أيديهم الى ملاك من العجم :

أبلغ لديك بني العباس مألكة
لا تدعو ملكها ، ملاكها العجم
أي المفاخر أمست في منابركم
وغيركم آمر فيها ومحتكم

كذلك كانت شخصية أبي فراس ، انه رجل جمع

بين عادات الفروسية وأخلاق الفارس ، كما عرفناها في تاريخنا العربي منذ عصر ما قبل الاسلام • وما كان سيف الدولة ليغفل عما يجد في ابن عمه ، فكان أن ولاه أمارة منبج وحران • وكانت منبج حصنا منيعا بين حلب والروم، وكان على أبي فراس أن يصد هجمات العدو ، ويذود عن حومة البلاد ، فسلخ في ذلك سنوات ، يقارع الكتائب ، ويناضل الفرسان •

وما زالت به الحال ، حتى حم القضاء عليه ، فكان الاسر له ، وهنا نجد خلافا في خبر أسره ، فمن قائل انه أسر مرة واحدة دامت سبع سنوات ، ومن قائل انه أسر مرتين ، كان ما قضاه فيهما سبع سنوات ونيفا ، ومن المحتمل أن يكون أبو فراس قد وقع أسيرا في تلك المعركة الرهيبة التي دارت بين سيف الدولة والروم في « مغارة الكحل » فحمل الى خرشنة ، ولكنه ما لبث أن فر من سجنه ، أو أن سيف الدولة قد افتداه سريعا •

ومن ثم عاد الى منبج على سيرته الاولى ، ولم تمض فترة حتى يخرج بردس الاسطراتيغوس بن توذلس البطريق وهو ابن اخت ملك الروم في ألف من وجوه الروم والارمن الى نواحي منبج ، فيصادف أبا فراس يتصيد في سبعين من أصحابه ، فينصب له كمينا ، ثم يفاجئه على حين غرة ، فيفر بعض أصحاب أبي فراس ، ويبقى يقاتل منفردا حتى أصابه سهم في فخذه بقي فيها نصله ، فأخذ أسيرا الى خرشنة ، ثم الى القسطنطينة • والى هذا يشير أبو فراس مخاطبا سيف الدولة :

أقلني ! أقلني عثرة الدهر انه
رماني بسهم صائب النصل مقصد
ولو لم تنل نفسي ولاءك لم أكن
لاوردها في نصره ، كل مورد
ولا كنت ألقى الالف زرقا عيونها
بسبعين فيهم كل أشأم أنكر

ولكن سيف الدولة لا يقيله من عثرته ، ولا يسرع بالفداء ، ويقال انه أوجس خيفة من أبي فراس أن يثور به ، ولكن يبدو لنا أن أبا فراس كان كله ولاء للامير ، ولا يبقى أمامنا الا حاشية سيف الدولة ، فهي التي كانت تزرع المخاوف غيرة وحسدا ، وهي التي كانت تصور أبا فراس بالطامع المتربص ، بدليل ما كان يكثر أبو فراس من شكوى أصحابه ، وغدرهم وتنكرهم له وهو في عز مجده ، فكيف بهم وقد غاب عنهم ، بعيدا في قيد أعدائه ؟!

وطالت به أيام أسره ، فكان بين نوازع مختلفة ، تارة ينظر الى نفسه وأصحابه ، وتارة يكتب الى ابن عمه ، وثالثة ينظر من بعيد الى أمه المريضة ، ورابعة يأتيه هذا الدمستق المتغطرس •• فاذا نظر الى نفسه وأصحابه ، راعه أن يجد من حوله في القيود والاغلال ، وحز في نفسه أن يتوالى الليل والنهار ، دون أن يشد الخيل على العدو ، أو يقوم بمكرمة ، فيجود على فقير ، أو يدافع عن مظلوم :

الى الله أشكو أننا بمنازل
تحكم في آسادهن كلاب
تمر الليالي ليس للنفع موضع
لدي ولا للمقنعين جناب
ولا شد لي سرج على ظهر سابح
ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع
ولا لمعت لي في الحروب حراب

ويكتب الى سيف الدولة يعاتبه حينا ، ويلومه حينا ، ويذكره بأبي فراس الاسير المقيد ، ثم يمدحه ويرجوه ويظهر له كل ولاء ومع ذلك فوجه الفارس الابي ، لا يفارقنا أبدا ، لانه لا يكتب لسيف الدولة خوفا من السجن ، أو ضيقا بالغل ، وانما يكتب لانه يحب أن يموت موت آبائه على صهوات الخيل فيدعو سيف الدولة قائلا :

دعوتك للجفن القريح المسهد
لدي ، وللنوم القليل المشرد
وما ذاك بخلا بالحياة ، وانها
لاول مبذول لاول مجتد
وما الاسر مما ضقت ذرعا بحمله
وما الخطب مما أن أقول له : قدي

ولكنني أختـــار موت بني أبي
على صهوات الخيل ، غير موسد

وكان ألم الاسر يشتد به ، كلما نظر من بعيد الى والدة مريضة ، خلفها وراءه في منبج ، وليس لها أحد سواه ، ولا سيما بعد أن بلغه ، أنها تسأل الركبان عنه ، ودموعها ما تكاد تنقطع ٠٠ وقد بلغه يوما أنها ، وهي مريضة ، جاءت الى سيف الدولة ، تذكره بفداء وحيدها ، فردها الامير خائبة ، فعادت تبكي بين جمهرة الشامتين ، فكان على أبي فراس ، أن يتناسى همه ، وان يرسل اليها الكتاب بعد الكتاب يعزيها ، ويصبر قلبها الملتاع :

ان وراء الستـر أمــا بكاؤها
علي وان طال الزمان ، طويل
فيا أمتا ! لا تعدمي الصبر انه
على قدر الصبر الجميل جزيل
أمالك في ذات النطاقين أسـوة
عليــه والحرب العوان تجول
تأسي ! كفاك الله ما تحذرينه
فقد غال هذا الناس قبلك غول

ومع هذه الآلام والاحزان ، كان يطل الدمستق قائد الروم بين حين وآخر ، ليناظر أبا فراس ، تارة في شؤون الحرب ، وتارة في شؤون الدين ، وأخرى يمن عليه بالابقاء على سلاحه وثيابه ، وما كان يجد من فارس العرب الا سخرية وتهكم ، فان عيره بالابقاء على سلاحه وثيابه ، قال له أبو فراس : اني قد حطمت سلاحي بصدوركم ، ورويت ثيابي من دمائكم ، وان جاءه يناظره في الحلال والحرام ، ذكر له خزيه وخزي آبائه في الحرب ثم سخر به فقال : ان من أعجب الاشياء أن علجا يعرفني الحلال من الحرام . وان قال له في احدى المناظرات : « انما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ! » قال له أبو فراس : « نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالاقلام !؟ » ثم قال :

أتزعم يا ضخم اللغـاديد أننا
ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا
فويلك من أروى أخاك بمرعش
وجلل ضربا وجه والدك الغضبا
أتوعدنا بالحــرب حتى كأننا
واياك لم يعصب بها قلبنا عصبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه
فكنا بها أسدا ، وكنت بها كلبا

فمعاذ الله أن تغير المحنة قلبا عربيا أعرابيا أصيلا ! ولكن من حق هذا الفارس العربي أن يعود الى مروج بلاده ، ومن حقه أن يكتب الى سيف الدولة بذلك ، ولكن أمير حلب يتباطأ في الجواب ، رغم ما يرسمه له الفارس الاسير من مشاهد تصور حاله وحال أصحابه في الاسر ، حتى انه قد تجرأ عليه مرة ، فقال له : ألست تنفق من أموالك في طلب المعالي ؟! ان هذه الاموال بمنزلة النوافل ، أما فداؤنا فهو فرض عليك ، والله لا يقبل نافلة قبل أداء فرض ! ولكن سيف الدولة يبقى لا سمع ولا بصر ، فيرسل اليه أبو فراس : « ان ثقل هذا المال على سيف الدولة كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره مـن أصحاب البلدان ، وخففنا عن الامير » ، فكان من سيف الدولة أن غضب وقال : « ومـن أين يعرف أهل خراسان ؟ » فكتب اليه أبو فراس ، يعاتبه عتابا رقيقا ، ويصف حاله في سجنه ، ثم يرد عليه ردا مهذبا يجمع بين الاخلاص والرجاء :

وان خراســان ان أنكـرت
عــلاي فقــد عرفتهـا حلب

ومــن أين ينكرني الابعدون
أمن نقص جد ؟ أمن نقص أب

ألست واياك مــن أسـرة
وبيني وبينك فــوق النسب :

وداد تناسب فيــه الكــرام
وتربيــة ومحــل أشــب !

ومع هذا الرجاء تبقى أبواب الاسر تمنعه من لقاء حلب ، وتصده عن ديار منبج ، وتبعده عـن الوالدة

نفسه ، فلا يجد الا شبح الاسر والموت في مخيلته ، فيبعث بالحسرات الى أمه الفقيدة :

بمرارة ، وتختنق أنفاسه ، فلا يجد الا التكرار ، وتقطع المريضة ، حتى جاءه ناعي الموت بفقدها ، فراح يبكيها

أيا أم الاسـير ، سقاك غيث
بكـره منك ما لقي الاسـير !
أيا أم الاسـير ، سقاك غيث
تحير لا يقيم ولا يسـير !
أيا أم الاسـير ، سقاك غيث
الى من بالفدا يأتي البشـير ؟!
نسـلى عنك : أنا عـن قليل
الى ما صرت في الاخرى نصير

وما زالت هذه اللوعة ، حتى سمع سيف الدولة ، فكان الفداء ، وعاد الاسير الى قلاع بلاده ، ونفسه حرى الى الضرب والطعان ، وما كان للحوادث أن تفت في عضده ، فقد كان سيفا أصيلا لا يزداد على الاحداث الا جلاء وبريقا ، ولئن كان قبل الاسر أميرا لمنبج ، فقد عوضه سيف الدولة عنها بأمارة حمص ، ولم تمض سنة على فداء أمير حمص ، حتى امتدت المنيـة الى سيف الدولة ، فخلفه ابنه أبو المعالي سعد الدولة ، وهو ابن أخت أبي فراس ، وكان يعاونه في الحكم غلاق التركي قرغويه ، وكاد هذا الغلام التركي يسيطر على الحكم في حلب ، مما جعل أبا فراس يخشى على امارة حلب من تسلط العنصر الاعجمي ، في وقت كانت هذه الامارة هي كل ما بقي من تراث الاصالة العربية ، كما أن قرغويه كان مكروها في سائر حاشية سيف الدولة في السابق ، فأصبح هؤلاء يشجعون أبا فراس على النهوض لسيادة الحمدانيين في الشام ، ومن هنا أوغر قرغويه صدر أبي المعالي على خاله أبي فراس ، ودفعه الى ارسال جيش لمحاربته في حمص ، وذلك سنة (٣٥٧ هـ) ، وكان لا بد من القتال ، فدارت المعركة على مقربة من حمص في صدد ، وفيها جرح **أبو فراس** ، فسقط عن جواده ، فقطع رأسه ، وحمل الى صنيعة الاتراك أبي المعالي ، وتركت جثته في العراء ، حتى مر بها بعض الاعراب ، فواروها مثواها الاخير ، وقبره ما يزال حتى اليوم على مقبرة من قرية صدد • وكان آخر ما قاله أبيات يوصي بها بنيته بالصبر ، قالها عندما جرح ، وأيقن أنه مغلوب على أمره :

أبنيتي لا تجـزعي
كل الانام الى ذهاب
أبنيتي صبرا جميـلا
للجليل من المصاب
قـولي اذا كلمتني
فعيت عـن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا
س ، لم يمتع بالشـباب

رحم الله أبا فراس ! فقد كان شاعرا حقا ، وفارسا عربيا ، وأمثولة تحكي لنا صفحات من تاريخنا القومي والبطولي والادبي ، بل كان نبضة من نبضات قلب هذه الامة ، التي تسعى اليوم بجد وباخلاص وتضحية ، لتقيم وحدتها ، فتحقق البقاء لها ولامجاد قوميتها • والسلام عليكم •

● **عبد الحفيظ السطلي**

صدر حديثاً :

قنوط

مجموعة شعرية

للشاعر

صفاء الحيدري

منشورات دار التمدن ـ بغداد
هاتف : ٨٢٢٨٩

الشاعر البطل

شعر : حامد حسن

لا العين تومىء في الندي ، ولا اليد تتساءلان : مـن الكمي الاصيد ؟؟
ألقائد المتخطرات ، تخف مـن فتح الثغور ، الى الثغور ، وتنهد
يحملن جنة يعرب ، وكأنها قدر ، على صهواتها يترصد
وكأن ممتنع الحصون ملاعب لخفافهن ، وكل نجم مورد
فاذا تباطأت الفتوح ، تلفتت نحو السماء ، تقول : أين الموعد ؟؟

★ ★ ★

شعثاء في كنف الامير عليلة رعشاء ، تلتمس الفداء ، وتنشد
لهفى على عتباته ، ملتاعة لا يستجيب لها ، ولا يتودد
لم يرحم الكبد الجريح ، وردها متعمدا ··· من ذلك المتعمد ؟؟
الأقربون تنكرا لنجيهم حسدا ، ومن محن الكريم الحسد
يفضي · فتمطره العتاب ، ودونه دون العتاب ، المارج المتوقد
فيشيح عن نظراتها ، وكأنها وكأنه بلج الضحى ، والارمد
أيبيت يفترش التراب وحيدها وعبيده فوق الأرائك هجد ؟؟
ويروح في حلق الحديد مكبلا ولداته خنث المعاطف ، ميد ؟؟
أو يستهين ؟؟ أظنه في صمته لا يستهين ، ··· وانما يتوعد !!
خلق السياسة ، ما علمت ، وشر ما يخشى اللظى في الجمر ، وهو مرمد

★ ★ ★

متمرد تهن الحياة لعزمه زين الشباب ، عزيمة ، وتمرد
لفحتك نار العبقرية في الصبا والعبقرية شعلة تتوقد
عبر الصبا عبثا بنا ، وعبرته عجلان ·· لا عبث لديك ، ولادد
أنفقت ريقه على الوطن الذي يفدى ··· ولولا خوف ربك يعبد
خضبت ليلك بالحنين · وكيف لا يجتاح من وهج الحنين المبعد ؟
لولا المريضة كنت ترخص كل ما تغلي الحياة ، وتستهين ، وتزهد
رسم العليلة ، والشآم ، ومنبجا في مقلتيك المشرق المتورد
والحر يمسك حر مدمعه ، وفي محني أضلعه المقيم المتعد
عدل الزمان · وراح يضحك ساخرا من زهوة المستعبد المستعبد

★ ★ ★

لك في الزيار عن الثغور ملاحم تبقى مخلدة ، وانت مخلد
أمنت ، فأغمضت الثغور جفونها والروم جازعة النواظر ، سهد
يتطلعون الى الثغور ، ودون ما يتطلعون اليه باب موصد
واليوم ··· عاد الروم ،لكن ·· بعدما مسخوا ، وقيل : تقمصوا ، فتهودوا
في كل « قبية » الف « خرشنة » ، ولا يهتز في « الاصم » الضمير الاسود

مهد الرسالة .. ما لكل عقيدة … أضحت تداس على ثراك ، وتواد ؟؟
نزل السماء بها ، فكل ثنية … وحي .. وخطوة كل هاد مسجد
ترك المسيح بها نزيز جراحه … فوق الصليب ... فأين ، أين محمد ؟؟
لا فرق بين قبور من صرعوا ، ولا … بين الخيام ... خيام من قد شردوا
باركت حقد بني أبي ، ومسحته … متبركا ... ورحمت من لا يحقد !!

* * *

حلب ، وما حلب ؟ وأنت أميرها … ومدمدم في ساحها ، ومغرد
حلب ؟ وما حلب ؟ وانت الامس في … خيلائها .. وعليه يتكىء الغد
والدوحة الخضل الظليل اذا خلت … من سيد ملأ الاريكة سيد
درج « الوليد » بها ، ورحت مغردا … في دوحها ، وابو المحشد « أحمد »
وغصبتم الزمن الخلود ، فانتم … نغم .. على شفة الحياة مردد
سجد الزمان على عتو جلاله … لكم ، وأي متوج لا يسجد ؟؟
والشعر ما ضمن الحياة ، وبعضه … عبث الحياة ، يموت ساعة يولد .

* * *

شهباء !! يا لدة الخلود ، وأنت في … صبواتنا متع الحياة وأرغد
المجهدون تفيأوك : وكيف لا … يصبو الى نعم الظلال المجهد ؟؟
أنا من حنين « اللاذقية » شهقة … تسع الهوى - كل الهوى - وتنهد
لي رفرفان على النجوم ، وملعب … في الشمس من عمل الخيال ، ممهد
وشباب قلب كلما ذكر الصبا … وتجددت دنيا الهوى يتجدد !!
وعلى معتقي ، وخبر خطيئتي … سكر الجياع الظامئون .. وعربدوا
وبني مثل بني أبي ، وأنا ، أنا … لا أهتدي ، وأود ألا يهتدوا
تمتمت باسمك في الخضم ، وكيف لا … يطغى ، ويضطرب الخضم ، ويزبد
بقيت مفاتن أمسياتك ، والهوى … وأنا على ما تعهدين ، وأعهد
أحيا على نفحات أمسك مثل ما … يحيا على أرج الصلاة المعبد
وأروح ازرع في دروبك ناظري … فأغيب في فتن العيون ، وأشرد
نزل الخيال جنونهن ، فجن من … سكر ، وعربد بينهن الاثمد
عذراء لم تأثم ، ولم يعبر بها … الا الرؤى - ترف الرؤى - والمرود

* * *

يا حمص لي أمنيتان : أغار من … نفسي على أمنيتي .... وأحسد
وأخاف ان يتهربا من ناظري … فأشد فوقهما الجفون ، وأعقد
ان تمنحيني نظرتين . وحفرة … أثوي بها ، فأرى الجمال .... وارقد
أنزلت حبك جانحي ، فمن رأى … كبدي يهد هده النعيم السرمد ؟؟
فاذا على « العاصي » تململ شاعر … متوجد ... فأنا ، أنا المتوجد
وغدا ... غدا سفري ، ولا حرج اذا … ارسلت طرفي رائدا يتزود !!

١٩٦٢/١٢/١٣

حامد حسن

حلب في ذكرى أبي فراس

★ شعر: عبد الرحيم الحصني

يا مربع الخلد . يا مهد المحبينا ... هذي عطاياك . أم هذي أمانينا
من بعد طول النوى عاد الزمان بنا ... فليسكر الليل من صهبا قوافينا
هذي الجنان العطاشى من يجرعها ... مدامة الحب الاكاس ساقينا
يا مربع الخلد عهد الحب ما برحت ... تنساب أنسامه وثابة فينا
هنا قضينا طفولات الهوى مرحا ... هنا طلعنا على الدنيا حساسينا
يا موعد الحب بالشهباء ما ابتسمت ... خمائل الحب الا عن تصابينا
من رجع اصدائنا اسقت عنادلها ... سكرية النشر تفاحا ونسرينا
يا مربع الخلد ما للنور من ترف ... لولا رنيم رخيم من أغانينا
زواهر الشهب ضفرنا مسابحها ... بالشعر والحب فازدانت رياحينا
من كرمة الوحي قطرنا مدامتنا ... لا يقطف الشعر الا من دوالينا
أناقة الحسن ضغناها مفوفة ... من جنة الله فاختالت بأيدينا
عيدان أقلامنا جبريل احسنها ... من سدرة المنتهى بريا وتكوينا
لولا وميض ذكي من جوانحنا ... ما كان في الدهر لا موسى ولا سينا
ارادة الله شاءت أن نكون على ... صحيفة الخلد للاسمى عناوينا
نذيب البابنا للعالمين هدى ... ونملأ الكون توشيحا وتلوينا

. . .

تبارك الله ما أغنى سرائرنا ... بأي نقص غفي القلب يرمينا
ثار الغويون تجديدا وما أنسوا ... من بعد ثورتهم دنيا ولا دينا
اني لاعذر في هذا الملا حملا ... يمشي الى المذبح المجهول مفتونا
ان أغفل الجهل شيئا من مآثرنا ... فالخلد أفصح اسهابا وتبيينا

. . .

طيف من الامس أهدانا بزورته ... لونا من الانفة العصماء مكنونا
دال الزمان وما زالت نضارتها ... أسمى من الدهر والاحداث عرنينا
أفدي الاباء رهين الاسر أشهده ... بين العلوج غزير الوجد موهونا
شبل جفا أهله قسرا وآيته ... في غيبة الاهل ان لا يألف الفينا
جريمة الدهر أن تلقى أخا شرف ... من فرط ما نال منه الدهر محزونا

. . .

يا مؤثر الاسر بعض الشر أهون من ... بعض اذا اشتد في ساح المغيرينا

ألست أروع من صان الثغور ومن ... بالسيف والرأي عاليت الابيينا

بمسمعي همسات منك ناعمة ... تشنف السمع ترديدا وتلحينا

(اذا مررت بواد جاش غاربه ... فاعقل قلوصك وانزل ذاك وادينا)

(وان عبرت بناد لا تطيف به ... أهل السفاهة ، فاجلس ذاك نادينا)

ابا فراس وما رفت قوادمنا ... ذكراك مرتبع الشهباء راجينا

ابا فراس وما رفت قوادمنا ... الا اليك ولا اهتزت خوافينا

جئنا نحيي البطولات التي اعتنقت ... آلاء شعرك وانسابت أفانينا

أبا فراس وانسام معطرة ... هبت من الخلد ريحانا يغادينا

لم نهمل العهد نحن الحافظون له ... وسوف نصبر باقي العمر راعينا

قوت المجامر نجوانا وانفسنا ... الى رحابك تقتاد المصلينا

دللت مجد عصي الدمع في كبدي ... وأيسر النبل تمجيد الوفيينا

* * *

يا قاتل الله حب الحكم كم فتكت ... رياحه الهوج في دنيا تآخينا

من كان يحسب أن يطغى الزمان على ... زين الشباب ويلقى الترب مطعونا

يا أمة شهدت من أمسها عظة ... تبدد الشمل يجتاح السلاطينا

نحن الاباة ولولا ما يفرقنا ... عن وحدة الصف رجحنا الموازينا

يا مربع الخلد هذي لمحة عبرت ... لم نفش أسرارها لولا مآقينا

أرنو الى القدس من خلف الحدود فلا ... القى بساحتها الا الثعابينا

كأن أحمد ما صلى بمسجدها ... ولا أقام بها عيسى الرهابينا

مجد العروبة حد السيف مصعده ... فلتبذل العرب ما شاءت قرابينا

لم يجعل العرب اليرموك مفخرة ... لولا السيوف ولا اعتزوا بحطينا

* * *

ما بال وارفة الاغصان تسألني ... من أنت يا نازلا أحلى ملاهينا

كأنني لم أذق من كأسها جرعا ... ولا تبينت من اعطافها اللينا

أخت الربيع رويدا عدت ها أنذا ... مأ غيض الود يا شهبا تجافينا

لي في ـ سبيلك ـ أفياء قضيت بها ... أندى اللبانات من أندى ليالينا

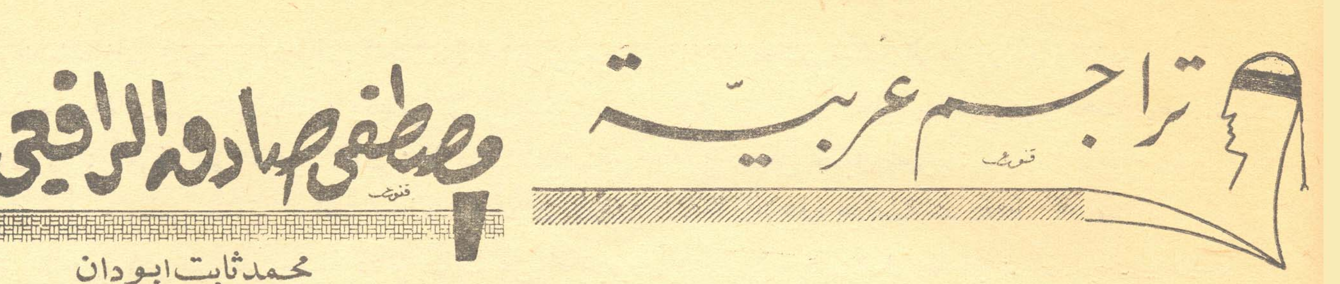
ننادم الحور سمارا وما سكرت ... عنادل الايك الا من تناجينا

ولا شدا الطير عند الفجر منتشيا ... الا لينقل لحنا من أماسينا

يا دار حمدان لم يهدأ لنا وتر ... لنا من الوحي آيات النبيينا

نواة ما أبدع الرحمان دولتنا ... ورمز ما نضر الدنيا أيادينا

عبد الرحيم الحصني



محمد ثابت ابو دان

منذ بضع عشرة سنة سمعت باسم الرافعي ، فسمعت اسما له جرس ورنين ، وله نشيد تتجاوب اصداؤه في جوانب النفس ، فأحببت الرافعي من خلال ما كتب ، واعجبت به من خلال ما نظم ، وأنزلته من نفسي بمنزلة الاستاذ ، فأعتبرته حجة في البلاغة واماما في اللغة .

منذ بضع عشرة سنة كنت أسير مع أحد أدباء حلب نتحدث عن الادب والادباء ، فأخذ هذا الاديب يتحدث لي عن بعض الادباء من معاصري الرافعي ، فلما سألته عن رأيه في الرافعي وأدبه أجابني ببلاهة وهل الرافعي أديب ؟...

وها أنذا أحاول اليوم أن أكتب عن الرافعي ، فلا ينتظر أحد مني في هذه المقالة ان اتكلم عن الرافعي الشاعر أو الرافعي الاديب أو الرافعي الفيلسوف ، فهذا ما لا يتسع له وقتي ، وما لا تتسع له صفحات زاوية « تراجم عربية » ولكنني سأكتب عن الرافعي الانسان ، الرافعي الذي ترك لنا ثروة أدبية رائعة فكان جزاؤنا له ، نكران لادبه ، واجحاف لفنه ، واستهزاء لبلاغته .

نسبه ومولده :

والرافعي سوري في أصله ، مصري في مولده ، عربي اسلامي في عقيدته ، ولد في عام ١٨٨٠ ، والده هو الشيخ عبد الرزاق الرافعي ، وقد كان من العلماء الاجلاء ، وكان رئيسا للمحاكم الشرعية في كثير من الاقاليم أما والدته فهي سورية من حلب من عائلة الطوخي ، وقد كان الرافعي بارا بأبويه ، محبا لهما ، قائما على خدمتهما .

مصادر ثقافته :

أستطيع أن أجزم ان ثقافة الرافعي ، هي ثقافة شخصية ، تعتمد على المطالعة المستمرة ، وقد ساعده على ذلك ، علة الصمم التي أصيب بها في مطلع حياته ، ومكتبة والده الضخمة التي كانت تضم الكثير من كتب ومصادر وهكذا هيأت القدرة الالهية جميع الاسباب من جلد وذكاء ليكون الرافعي أديبا من أدباء العرب الخالدين .

الرافعي الشاعر :

وكأكثر الادباء الناشئين كلف الرافعي بالشعر ، فكان همه الاول أن يكون شاعرا عملاقا ، وقد كان رحمه الله واسع الامل كثير الطموح كبير الثقة بنفسه وعلمه وثقافته ، واستطاع الرافعي بهذه الكبرياء أن يدخل ميدان الشعر ، وأخذ اسمه يلمع في سماء الشعر والقافية.

وكان الرافعي ينظر الى محمود سامي البارودي وحافظ ابراهيم نظرة حب مشوبه بنظرة حسد ، كان يريد ان يكون كالبارودي في القوة وكحافظ في الرقة ، فمضى يتحدث في المجالس عن صداقته للبارودي وعن حبه لحافظ وأخذ يطلق على نفسه لقب شاعر الحسن ويدعى ان حافظا لا يمكنه ان يقول الشعر في الغزل والنسيب ، وكان من جراء هذا الادعاء أن قامت بين حافظ والرافعي معركة أدبية ومنافسة شعرية لم تؤثر على صداقتهما القوية .

أعود فأقول ان الرافعي بدأ يقول الشعر ولما يبلغ العشرين من عمره ، وأخذ ينشر شعره في الصحف والمجلات التي تصدر في مصر ويقوم على أمرها أدباء من الشام ولبنان ، ويتحدث الاستاذ « جورج ابراهيم حنا » عن أول معرفته بالرافعي الشاعر فيقول : (بدأت صلتي بالرافعي قريبا من عام ١٩٠٠ ، كنت يومئذ أقول الشعر ، وكان اسمي معروفا لقراء مجلة الثريا ، ولم اكن أعرف الرافعي ، أو اسمع به ، وكان لأخيه سعيد الرافعي متجر في طنطا ، فذهبت يوما أشتري شيئا من فاكهة الشام ،

وعندما دخلت المتجر رأيت فتى نحيلا في العشرين من عمره ، فما رآني حتى ناداني ودعاني الى الجلوس ثم قال لي : أتعرف أني شاعر ؟ قلت : لا لست أعرف ، قال : أنا مصطفى صادق الرافعي وهذه الكراسات كلها من شعري وعرض علي بضعة دفاتر كانت على المكتب ثم استأنف قائلا : ولكنه شعر الحداثة فهو لا يعجبني ، سأختار منه أجوده وأمزق الباقي وسأطبع ديواني بعد قليل فتعرفني) .

ثم صدر الجزء الاول من ديوان الرافعي ، وقدم له بمقدمة رائعة تعد من أبدع وأبلغ ما كتب في فن التعريف بالشعر وقد تلقى أدباء العرب ونقادهم هذا الديوان باعجاب زائد ، وقرظوه واثنوا على ناظمه من حيث البلاغة والشاعرية حتى قال الشيخ ابراهيم اليازجي (ان الناظم كما بلغنا لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنيه ولا ريب أن من أدرك هذه المنزلة في مثل هذا السن سيكون من الافراد المجلين في هذا العصر وممن سيحلون جيد البلاغة بقلائد النظم وفرائد النثر) .

وبلغ الرافعي ما أراد من شهرة ومن ذيوع صيت واسم ، فقد كتب عنه حافظ ابراهيم ، وقال رأيه فيه محمود سامي البارودي ، ومدحه عبد المحسن الكاظمي وكان هذا ما يريد ، ولم ينقطع الرافعي عن قول الشعر بعد تلك الفترة ولكنه لم يعد يقتصر عليه . ولا بد لي هنا من ايراد بعض الابيات كمثال عن شعره :

ألا يا نسيم الفجر سلم على فجري
فقد غاب في الليل الطويل من الهجر

تضيء الليالي بالنجوم وبدرها
وليل الجفا من غير نجم ولا بدر

وقفت وماذا أستطيع بوقفتي
حسيرا وأقدار الغرام بنا تجري

أدور بعيني نحو كل شعاعة
على الافق في نجم او الارض في زهر

ألا ينسيم الفجر ان جزت في الربى
خفيا كتسليم الحبيبة في سر

مجئني يسر الزهر والماء والندى
لعلي بها اطفي جوى الحب في صدري

ومن جميل شعره :

يا ليل هيجت أشواقا أداريها
فسل بها البدر ان البدر يدريها

رأى حقيقة هذا الحسن غامضة
فجاء يظهرها للناس تشبيها

في صورة من جمال البدر منظرها
ونظر البدر يبدو صورة فيها

ولو ذهبنا نتحدث عن شعر الرافعي الى افراد مقالة خاصة ولعلنا نفعل ذلك بالمستقبل ان شاء الله .

★

الرافعي العاشق :

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمد سعيد العريان في كتابه حياة الرافعي يقول :

(أتراني أستطيع الحديث عن الرافعي العاشق فأوفي القول وأبلغ الغاية ؟ وهل يكون لي أن أدعي أنني اكتب في هذه الصفحات تاريخ الرافعي اذا أنا لم أعرض لحديث الرافعي العاشق ؟ وهل خلت فترة في حياة الرافعي من الحب ؟ ذلك الرجل الذي لا يتخيله اكثر من لم يره الا شيخا معتجر العمامة مطلق العذبه مسترسل اللحية مما قرؤا له من بحوث في الدين وآراء في التصوف ...

هذا الرجل كان عاشقا غلبه الحب على نفسه وما غلبه على دينه وخلقه ان الحديث عن حب الرافعي لحديث طويل : ما هي حادثة أرويها وأفرغ منها ، وحبيبة واحدة أصفها وأتحدث عنها ، ولكنها حوادث وحبيبات وعمر طويل بين العشرين والسابعة والخمسين لم يشرق فيه صباح ، ولم يجن مساء الا وللرافعي جديد في الحب بين غضب ورضا ووصل وهجر وسلام وخصام وعتب ودلال وحبيب الى وداع وحبيب الى لقاء ... وشاب الرافعي وما شاب قلبه ، وظل وهو يدب الى الستين كأنه شاب في العشرين ومات وعلى مكتبه رسالة وداد من صديقه بينها وبينه جواز سفر وباخرة وقطار وكان في الرسالة موعد الى لقاء) .

اذن ـ وهذه شهادة تلميذ مخلص أمين ـ نستطيع أن نقرر حقيقة جازمة وهي أن الرافعي أحب وعشق وكان هذا الحب نعمة من السماء ، حيث أنه وضع أمامنا مفهوما جديدا للحب ، ان الحب كما عرفه الرافعي هو حيلة النفس الى السمو والاشراق والوصول الى الشاطىء المجهول ، هو نافذة تطل منها البشرية الى غاياتها العليا واهدافها البعيدة ، وآمالها في الانسانية السامية ، هـو مفتاح الروح الى عالم غير منظور تتنور فيه الافق المنير في جانب من النفس الانسانية ، هو نبوة على قدر أنبيائها فيها الوحي والالهام وفيها الاسراء الى الملأ الاعلى على جناحي ملك جميل هو قادة الشعر وجلاء الخاطر وصقال النفس وينبوع الرحمة وأداة البيان وكل من أراد أن يتعرف على الرافعي العاشق لا بد له من قراءة كتبه الانيقة : أوراق الورد ـ رسائل الاحزان ـ السحاب الاحمر ـ ووحي القلم ، ففي كل كتاب من هـذه الكتب ، زفرة محب ، ولهفة عاشق ، وأنين مفؤود ، ومناجاة حائر ، ودمعة مهجور ....

★

الرافعي وطه حسين :

كان الرافعي بعد أن ذاع صيته واشتهر اسمه ، يطمع في أن يكون له تدريس الادب العربي في الجامعة المصرية وكان طه حسين يرشح نفسه أيضا ليكون أستاذ الادب في هذه الجامعة ، وكان يحسد الرافعي على كتابه الضخم في تاريخ آداب العرب ، فما كان منه الا أن أخذ ينقده بقسوة ، ويقرر أنه لم يفهمه ، ثم يقرر هذا المعنى ثانية في نقده لحديث القمر وثالثة في رسائل الاحزان .

وبعد عام من هـذا التوتر النفسي بين الرافعي والدكتور طه حسين ، أصدر هذا الاخير كتابه في الشعر الجاهلي فرأى فيه الرافعي وجمهرة الادباء رأيا جديدا في الدين والقرآن ، فقال بعضهم هذا كفر وضلال وقال البعض هذا خطأ في التفكير واسراف في الحرية ، وجاء دور الرافعي فانتضى قلمه وأخذ يهاجم الدكتـور طه حسين وكتابه مهاجمة قوية قاسية ، فاتهم طه حسين في دينه وقوميته ، فرد عليه الدكتور طه ونعتـه بالتعصب الاعمى والسخافة وضحالة الثقافة ، واشتدت المعركـة بينهما وخرجت في بعض الاحيـان عن اطارها الادبي وتدخلت الدوافع السياسية فوقفت الى جانب الرافعي لان طه حسين كان ضدها ، ووقف الازهر بجانب الرافعي أيضا فلم يجد الدكتور طه حسين بدا من الانحناء أمام العاصفة فقبل بجمع نسخ الكتاب من منزله ومن المكتبات العامة لمنع تداوله ، وكان من نتائج هذه المعركة الادبية بين العملاقين كتاب الرافعي ـ تحت راية القرآن ـ وهو جماع رأي الرافعي في القديم والحديث ، وهـو أسلوب في النقد يجمع الى قوة الكلمة وبلاغة الاسلوب ، سخرية لاذعة وحكمة ممتعة ، ولا غنى لكل أديب وناقد عن هذا الكتاب لما فيـــه من ومضات ذهنية ومحاكمات للشؤون الادبية .

الرافعي والعقاد :

(انه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها) .

ذلك كان رأي الاستاذ عباس محمود العقاد في أدب الرافعي قبل بضع عشرة سنة من هذه الخصومة ، وشتان بين هذا الرأي يبديه العقاد عام ـ ١٩١٧ ـ وبين رأيه الاخير في ـ المهذار الاصم ـ مصطفى صادق الرافعي كما يصفه في عام ١٩٣٣ .

فما كادت المعركة بين الرافعي وطه حسين تخمد ، حتى نشبت معركة أخرى كالاولى في شدتها وحماسة الناس لها كان أحد أطرافها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فلم يكن بين الرافعي والعقاد قبل اصدار الطبعة الملكية من أعجاز القرآن غير الصفاء والود فلما صدر هذا الكتاب أحدث بينهما شيئا كان هو أول الخصام . فقد التقى الرافعي بالعقاد في دور احدى المجلات ـ المقتطف على ما أذكر ـ فسأل الرافعي العقاد عن رأيه في كتاب اعجاز القرآن ،فما كان من العقاد الا أن أخذ ينقـد الكتاب بقسوة وفي غضب وانفعال والسبب في ذلك هو أن العقاد كان من كبار كتاب حزب الوفد ، وكانت له منزلة خاصة عند الزعيم سعد زغلول ولكن سعدا مع ذلك لم يكتب له عن كتاب من كتبه .. « كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكرالحكيم » وكتبها للرافعي ومن هنـــا كانت ثورة العقاد ثورة غيره لاثورة أديب

أو ناقد • الى أن تجاوزت هذه الخصومة ميدانها الذي بدأت فيه ومحورها الذي كانت تدور عليه الى ميادين أخرى جعلت كلا من الاديبين الكبيرين ينسى مكانه ويغفل أدبه ليلغ في عرض صاحبه ويأكل لحمه من غير أن يتذمم أو يرى في ذلك معابة عليه وكان البادىء في هذه الحرب هو الرافعي في مقالاته ـ على السفود ـ

ثم كانت هدنة بين الرافعي والعقــاد حتى كان خريف عام ـ ١٩٣٢ ـ ففي هذا العام مات أحمد شوقي فحزن الشرق واهتز لهذه الفاجعة ، وكان أن كتب الرافعي مقالة كانت من ابلغ ما كتب أنصف فيها شوقي وجلى عبقريته وكشف عن أدبه وفنه ومذهبه ، وتعرض بالتالي الى بعض هناته واغلاطه منها هنات في النمو • ولم يترك العقاد هذه السانحة تمر دون أن يستغلها ويرد عــلى الرافعي مسخفا مقالته معرضا بذوقه الفني والادبي ، ويثور الرافعي ويرد على العقــاد ويتهمه بالغفلة وقلة التبصر بأساليب العربية وهكذا عادت الحرب المكشوفة بـين الاديبين الكبيرين • واشتد أوار هذه الحرب عندما أصدر العقاد ديوانه وحي الاربعين ، فتناوله الرافعي بالنقــد اللاذع والتهكم الشنيع ، وانتهت المعركة وانتصر الرافعي وظلت الحرب الادبية قائمة الى أن توفى الله الرافعي فخلا الجو أمام العقاد يجول فيه وحده ويصول •

★

يتحدث الاستاذ محمد سعيد العريان تحت عنوان كيف كان يكتب الرافعي فيقول : (لم تكن الكتــابة عند الرافعي فكرة ومعنى وعاطفة فحسب ، بل كانت الى ذلك فنا واسلوبا وصناعة ، والادب العربي منذ أن كان الى أ ن يطوي تاريخه بين دفتين هو فكر وبيان ، لا بد من اجتماع هاتين المزيتين فيه ليكون أدبا يستحق الخلود ذلك كان رأي الرافعي ومذهبه ، فمن ذلك لم يكن يعتبر المقالة وقد انتظمت في خاطره معنى وفكرة مقالة تستحق أن تكتب وتنشر الا أن يهيء لها الثوب الانيق الذي تظهر به لقرائها وهذه هي المرحلة الاخيرة • وأول ما يعنيه في ذلك هو بدء الموضوع وخاتمته ، لست أعني العبارة التي يبدأ بها والتي يختم ، ولكني أعني طريقة البدء والختام في الموضوع) •

الرافعي القاص :

★

وبعد أن تحدثت عن الرافعي الشاعر ، والرافعي الاديب ، والاديب الناقد ، لا بد لي من أن أتحدث عن الرافعي القاص ، فالرافعي لم يكن يعرف عن فن القصة شيئا يحمله على معالجتها ويغريه على العناية بها ، بل انه كان يسخر ممن يقصر جهده من الادباء على معالجة القصة ولا يراه أهلا لان يكون من أصحاب الامتياز في الادب ، غير أنه كان يجد لذة في قراءة القصة على أنها لون من ألوان الرياضة العقلية لا فن من فنون الادب • ولكن مع نظرته تلك للقصة فانه مارسها وكتب عــدة قصص ناجحة • وطريقته في كتابة قصصة غريبــة ، وغايته منها غير غاية القصاص ، فالقصة عنده لا تعدو أن تكون مقالة من مقالاته في أسلوب جديد فهو لا يفكر في الحادثة ولكن في الحكمة والمغزى والحديث والمذهب الادبي ثم تأتي الحادثة من بعد •

واننا نقرأ له في كتــابه ـ وحي القلم ـ بعض القصص فنعجب بها أيما اعجاب لما فيها من براعة فــي الوصف ودقة من التصوير كل ذلك بالاضافة الى روعة في الاسلوب وبلاغة في الكلمات • وان كانت قصصه تلك تغلب عليها النزعة الانسانية السوداوية المتشائمة • ودليلنا على ذلك كتابه المساكين وهو عبارة عن قصة انسانيــة النزعة تصور لنا حياة البؤس والفاقة التي يعيشها بعض أفراد الشعب العربي في ذلك العهد وعن هذه القصــة يقول الدكتور أحمد زكي : (لقد جعلت لنا شكسبير كما للانجليز شكسبير ، وهيجو للفرنسيين هيجو ، وجوته كما للالمان جوته •) •

★

وقبل أن أختم بحثي عن الرافعي أريد أن أثبت هنــا بعض مقالاته الصغيرة ليتعرف القراء على أسلوب الرافعي عسى أن يكون في ذلك الدافع للاطلاع على أدب هذا العملاق واحقاقه ، يقول من مقالة له من كتــاب حديث القمر :

(أه عليك يا قمري الجميل ، وآه على هذا السحر السماوي لو يكون للجمال الارضي شيء منه يتفادى به من لسان واش وعذول . انك لتسكب الصمت والنوم والاحلام على الارض من ضيائك ممزوجة بالافكار الجميلة لرؤوس الفلاسفة التي تشبه القلوب الهرمة ، ولقلوب العشاق التي أعرف كل قلب منها كأنه عقل فيلسوف .

أنت يا قمري الجميل راية السلام الالهية البيضاء ، لا ترتفع للنهار حتى يغمد حسام الضياء في جفنه الاسود وتسكن غمغمة الحرب التي يتقاتل أهلها على الحياة ، وتنطبق أجفان الناس فكأن كل جفنين انما يمثلان حياة امرىء زمت شفتيها كيلا تنزعج ملائكة السماء لهذه الاصوات الوحشية المنكرة التي تنبعث من فم النهار فتقبل على التسبيح لله .)

ومن كتاب أوراق الورد نقرأ له :

(وتلقى منها ذات يوم كتابا فلما فض غلافه لم يجد فيه الا زهرة ذابلة فكتب اليها :

قرأت يا حبيبتي هذا الكتاب الذي لم تكتبيه ، وتسلمت شفتاي ذلك السر الذي فيه ، وكدت أقول انها هي نسمات عطرها سحرتها في هذه الاوراق بسحرها ، ولكني تأملت الاوراق الذابلة فخيل الي من ذواها وطيها أنها أجسام قبلات حارة احترقت على شفتي حبيبها ، وفهمت من العطر أن الرسالة مكاشفة بالحب أو مناسمة .. ولكني فهمت من الذبول أنها معاتبة في الحب أو مخاصمة .) بمثل هذه الروعة كانت كتابات الرافعي ، وفي مثل هذه البلاغة والقوة كان يسكب حروفه وينمق مقالاته ولذلك كان بحق أحد أدباء العرب القلائل الذين استطاعوا أن يملكوا زمام اللغة العربية وان يجعلوها في أيديهم كالعجين يعطوها الشكل الذي يريدون .

وكل من أراد أن يتعرف على مصطفى صادق الرافعي أحيله الى كتاب تلميذه محمد سعيد العريان وأوله على كتب الرافعي الخالدة ـ وحي القلم ـ حديث القمر ـ اعجاز القرآن ـ تحت راية القرآن ـ رسائل الاحزان ـ أوراق الورد ـ تاريخ آداب العرب ـ المساكين الخ ... ففي هذه الكتب ثروة لغوية لكل متأدب ، ومتعة ذهنية لكل مثقف .

● **محمد ثابت أبودان**



زندك العاري وما من نافذات الثوب لاح
وكنوز الحسن ما بين التباس واتضاح
في ثنايا وزوايا ونجاد وبطاح
وأزاهير خزامى وشقيق وأقاح
وانسياب الجيد في أعطافك السمر الملاح
ووثاب الطير في غصنك خفاق الجناح
طافرا في نزق الثائر ، مكبوح الجماح
وجديلات من الشعر بدت رغم الوشاح
راقصات من تثنيك ومن خفق الرياح
وسويعات صفاء في مساء وصباح
وحديث وحكايات ولحن ومزاح
والذي أضمره اللفظ وعنه اللحظ باح
والعيون الساحرات الساقيات الروح راح
في التماعات رؤآها نزوات وطماح
هجن في اعماق نفسي ظمأ غير مباح

● **عمر بهاء الاميري**



قصة عالية رمزي

اباشر الحادي في تحد مثير .. تفور في بيادر ينام فيها حقلا من دم معروق .. أمزق شهاب الشموس .. افقع شرانق بلا الوان .. تتخثر في نجوما بلا عبير .. اخطط في الفضاء كومة حريق اشم فيها رائحة انسان تعفن .. ابرر قضيتي في مستوى جماهيري كبير .. اسحق لدى نزعة الحيوان المترف .. دمى مأساويه بلا حجوم تتراص في علب بلا ابعاد تنداح فيها عواطف شبقة ..

ادخن مصير (نواف) التهم ظل (خنساء) الانثى الطفلة يتنفس فيها ثأر فوضوي حالم .. (عمار) مراهق كبير يحلم بأفكار مصدفة من اجل الانسان . (اوفى) الصدفة الدامية تتقاطع في اوصالها اشياء ذكتها سخونة الصيف النهم ..

امرأة تمنح اقبية الضياع حنانا بربريا عاصفا .. نزت في سترها اقمار فجة تفض رعونة اليتم الذليل .. ارملة في الثلاثين صورة بربرية لشهيد في عينيه بئر حنان .. تجوس غابة عطر مشمره .. في الصدر غاصت جراح قرميدية الشغاف .. تتراجع في صور من طوفان تتري اختنق به ..

اندس في معبد يرتعش فيه اصرار بليد كيسوع الطيب .. تحفك الآدمية تنهش انتصاب شبقي المذعور .. هتاف راعد .. يقودني الى عالم بلا اموات ..

ـ بابا كم يطول سفره ..

يا حبيبي .. امارس فيك الابوة المقهورة .. والامومة الذاهلة .. ما زلت تؤمن بالكون الكبير .. بألوان النهار .. أحب لونك المعجون بلون الحليب .. تمطى فيك نزف عتيق .. تلوى وجهك عني .. تغرز اصابعك اللينة في شعري الليلكي .. ترضع من لوحة احالها الضباب الخصب الي صليب حار يغمس في صدرك الرضيع .. تطحن لي كل يوم حفنة الوان نقوش حلوة ادخنها بسخاء اخضر .. تهذي بفظاعة .. بأعصاب عملاق .. تتثاءب بافراط .. تبتسم ثم تصمت .. تلهث لافلاك أبدا لا تصير .. اقرأ خواطرك البنفسجة .. تتعب بعناد .. لكنك تهتف هتافا مبحوحا يتكسر في قاعك الشامخ .. نم يا حبيبي يا حرفا من قصيدة مبتورة الاعصاب .. تعرى للاله في غرور .. اغفر الانسان مدد جسد ابيك في لحاف الدم في قبر بارد بعيد .. (خنساء) تكبر بسرعة .. يمتد فيها تاريخ عار .. تمص نكهة العطور .. تتيه في غلاله راعشة تريد دويا طويلا .. تريد ان ترى التحام الغيوم .. تحب الضياع في الجحيم لا تحت أبدا ان تفيق .. (عمار) يهدد اثقال الصقيع بترنيمة تتعب مجامر الفراغ بقايا حلم يزرع الليل ذهولا ماساويا رصينا ..

يصرخ في جبروت ..

ـ لا تكذبي ماما ابي لن يعود .. اعرف هذا .. لقد رأيت ضريحه الجليدي الارعن ينهار في بلاده .. لقد ذهب بعيدا لا أعرف الى اين لكني اعرف انه سوف لن يعود ابدا ..

ـ عمار لا تهرج هكذا نواف نا متوا ..

وثب من فراشه .. اصبح أمامي .. رجل في العاشرة يلوب في جفنيه حلم وثير ..

ـ هل انام هنا .. انني أحلم بكومات حريق تمسح خصبي الطري ..

وجه طري .. عيون حقيقية .. ارى فيها فلسفة

الالوان .. اقرأ فيها فصل كانون .. تشرين .. آذار .

ـ نم في سريرك يا حبيبي لقد كبرت ..

ـ كلا أريد النوم هنا أنا أصغر الجميع أنا رأيت اسطورة أبي يحملهـــا ضيوف الطريق .. رأيت أبي يحمل بعيدا .. أنا أعرف كل شي لكن بصورة بدائية تعشش في عيني .. أنا أيضا سأموت يا أماه .. لكن ليس الان يا أماه .. ادعي لي أن أظل حتى أصبح شيئا ما .. هل اظل واقفا هنا لن أنام يا أماه حتى لو نمت قربك .. فقط أريد همسك .. أنفاسك .. ظلالك .. احتمي بك .. اروض أفكاري المزدوجة .. أشعر انني لست بضائع ..

سيظل الانسان يبحث عن الحقيقة .. يحلم كثيرا بمخدع دفء .. يناغي دروبا شق فيها الاله نزفا يفور سنغرق في الوحل ..

الحقيقة التي يبحث عنها الانسان .. كل انسان .. هي الموت .. ربما هي الحقيقة الخالدة التي يجهلهـا الانسان الي ان يموت ..

ماذا يخيفني في (عمار) هذه النظرة المتمردة التي تحدد ابعاد العالم .. تجرد المدار في صمت عبوس ..

ـ تعالي هنا قربي ستغفو هنا على ذراعي ..

فرح عظيم تعثر باصرار في عينيه الكبيرتين .. تمتم بألم كاسح رهيب ..

لهاث (اوفى) ايقاع عبق يحتضن الدمار في بطء رشيق .. دموع ذرت في الاهداب .. نامت في ناموس الضمير الحي في عمق نواف الرضيع .. وثب بحماس مطلق .. تمدد قربي .. مس دفء صدري العاري .. انتفضت رعشة في اللحم المسعور .. عطر جرح يؤلم .. انفلت باستسلام مصلوب .. دغدغ صفحة وجهي .. بين شفتيه حكايا مخيفة تحب السكب الطويل تصقعني نظراته قارة ابــداع وحب .. ونشاوى ظليلة .. اسطورة أبيـه في عينيه الحقيقية .. أخاف عمـار .. أخاف عينيه .. تتراقص فيهما خفايا مقمرات وردية كلون الفجر . المسحور .. ذراعاه الهشتان يتضـوع فيهما كبرياء متكابر .. تحيط جيدي المغرور .. ذراعان تتحديان سواحل ناطقات تهز شذوذ انوثتي ..

ـ ماما لماذا مات أبي ..؟

لماذا يموت الفرد الانسان .. وتموت ارتال جماعية .. واله الغرباء يتلهى بالدماء .. يطوى جثثا عاشت في القاع الهش .. حناجر داخت كبركان تفور في صميم الارض الفوارة .. افواه تمضغ الشقاء .. تلوك الفراغ .. قصة الحرب والالوان .. قصـــة كل وقت .. مصلوبة في الغور .. (عمار) ذكي يخشى عليه ومنه .. هل اسرد له الحقيقة الثابتة بلا اصباغ .. انه عنيد .. لكنه جرىء يعطي المعطيات الخرساء دهشة موقوتة لزمن محدود ..

ـ ماما سأقول لك أنا لماذا مات أبي لانه كـــان انسانا صادقا ..

تجاوز لوحـــة الصفاء .. بصفاء اروع بعبارته الساذجة الحادة هذه ..

انه مذهل لكنه متعب .. تطل عيناه ذاهلتان يرف فيهما قرار عميق ..

يا رفيق حبي الوليد .. يتأمل وجهي .. تغوص عيناه بتعبي الشقي .. يسكب من احداقه فرح صبياني طفل يهزني برفق يهمس في طيبة ..

ـ أليس كذلك يا اماه أنه مات لانهانسان صادق ..

ـ أجل يا بني لانه انسان بلا زيف ..

ـ لقد درست الزيف في المدرسة انه عدم فـي ملف الانسان الصادق ..

ـ هكذا علموك في المدرسة ..

ـ وتعلمت أيضا أن أحب كل انسان في لوحـــة رخوة شفافة تمزق أقبية القذارة المدنسة ..

ـ ولماذا تحب كل انسان ..

ـ ولماذا اكره كل انسان ..

احتضنه برعونة والهة •• ألصق شفاهي على خده بذوبان نهم •• رضع (عمار) مني نهش الحب العملاق •• عربد فيه اندفاع طفل مغرور •• يرى العالم محيط حب دام يقذف الحذر المغبون في جوفه ••

كتله الاله ترقب بفجور سقيم • خرافة الانسان الحي في بطوله ماسأويه •• مندفعة •• تعري القاع السكران ••

ـ ماما سمعت عن أبي شيئا ••

انا أسكب نظراتي المتعبة تتمسح انزلاق المعاني التي تتواثب في قعره ••

ـ ماذا سمعت ياحبيبي ••

ـ يقصون عنه حكايات كثيرة •• سمعت أحدهم يقول هذا ابن الشهيد •• ما معنى هذه العبارة ••

انه يعرى لي مصير أبيه في حيوية ساذجة •• وترابط مطاط •• نظرت اليه نظرة مسعورة طويلة فيها تطفل حي وضعف مترنح •• انه يرقب ما سوف أقوله •• ستكون عبارتي عمودا أبديا يضاجع احداقه الطفلة • واعماقه الهشة • وشفافيته الغضة • لشد ما اكره التبرير ـ لكنه يراقبني بقوة ـ نظراته تطرح لي ايقاعي الموسق في تأمل ملحد ••

ـ شهيد تعني انه هدم حقيقة موهومة فظة تعشعش في الكلمة ـ لقد ارتقى ابوك الى الاله في عراء فاضل • وعواء جائع • شهيد تعني انه قتل ببارود الاعداء • ورشاشهم • فأرتفع عاريا من كل شيء ـ الى علياء الله ـ

كان لديه أمل وحشي واحد • ان يظل ليراك • تسلك طريقه نفس الاسلوب الانساني الفطري •

ـ ولكني يا ماما اكره الحرب •

ـ هذا حسن يا بني اذا كان وطنك خاليا من الاعداء •

ـ ولكني لا أرى للاعداء اثرا في الوطن •

ـ انهم معنا كل له لونه الخاص •

ـ ماما أحب أن أمارس قضية السلام أولا • احب السلام كثيرا • انه أجمل قضية يجب ان انضوي تحتها••

احساس بالفخر يجتاحني ، وانا استمع اليه ، احساس بالاكبار يفوح في •

انه رغم صغره ايجابي في كل شيء •

الحرية من اجل الحرب استهتار رهيب للاجساد الملونة والاعماق المذعورة ـ والحرب من أجل السلام مطلق حار لا يحب التراجع ابدا •

(عمار) يحول جمودي الراعش • الى خليط صاح • فيه انفلات الرهبة العادية • والدهشة الموجزة ••

ـ حرر في بنبرة عربيدة الهوس • اشارات ضائعة تحمل معنى التحدي الواضح والعبث المتكابر ••

ـ انت تحب السلام • وابوك مات من أجله •

ـ لماذا أسمع عن الشهيد رهبة عريضة ، كأن الذي مات نبي • او قديس •

ـ ماذا حفظت من آيات في الدين عن مصير الشهيد ••

يرد في خضوع مفرط •

ـ لم اقرأ شيئا عن هذا يا ماما • لكني مع هذا أخمن ان يحدث له هناك شيء رائع • رائع جدا •• لا اقوى تصوره •

انه يصنف ما اريد قوله • باعجاز • لا أقوى عليه• رغم ما امتلك من خواص الغوص في ابعاد الذات البشرية بعقوبة مرنة • وسيلة حائر •

انه يعرى حرفي الرصين • بمتعة محنطة تواكب الها بعيدا صعد منذ اشهر الى مقره الغبي ـ

ـ ماما لا ادري لماذا لا أنام مثلك • كأنني اوازيك في قذف آخر حمم النار في الجوف البليد • الساعة الآن على ما أظن الرابعة صباحا ولا يحدث ان تنام كل يوم قبل ان يهتصر الاله روح ابي •• اكثر من العاشرة ، هكذا كانت رغبة بابا ورغبتك انت ••

انني أتوهم الان يا ماما أن أكون قدر ابي معك •

لكن اعاهدك على أن أكون اوفق منه • لان لي آراء نتيجة قذف متراص ساحر •• سأدخل الثانوية بعد عام بعدها ادخل كلية الطب • او الهندسة • كما اريد أنا • لا كما تريدين انت • او بابا ••

انني اكره أن أكون غبيا الى حد التضاؤل ان انضوي تحت استار انت نسيجها او حائكتها ••

انني نسيج وحيد ••

– ستكون كما تشتهي انت •• ولا غير ذلك •

– (اوفى) تهوى الرسم • (نواف) مازال صغيرا لا ادري ما يحدث له • لكنني أرى في عينيه بريقا عميقا • ان يكون شيئا كبيرا • (خنساء) اوه ماما انني احب (خنساء) كثيرا • انها هشة في كل شيء • افكر احيانا لو آكلها ماذا يحدث • لا يحدث شيء جديد • سوى نقصان في جدران هذه العائلة • بعد ان ذهب عامودها الاصيل • انت يا ماما • احبك بصورة همجية • وحشية • لا ادري كيف اصوغه لك • او اعبر عنه • لكني مع هذا اشعر انك تحبين في • أو أنا اضيع فيك • ماما لماذا لا تعودين الى العمل • انت تحبين العمل • لكن بابا كان يريدك دائما في البيت • آه لو كنت اكبر قليلا لعملت انا بدلك • ماما • انا أعمل شيئا ما في البيت ، شيئا تقرريه انت • (اوفى) اصغر مني قليلا تصنف ما تريدينه • وانت ايضا معنا حتى •••• اوه ماما ش كالنمل يهرج في رأسي •• اقترب من رأسه • ارى في عينيه حمرة قاسية دامية • يتدفق العرق الاسمر من جبهته الوثنية العارية ، شعره القصير المتمرد ، تلوب فيه سخونة هاربة من اعماق الجحيم ، جسده الانساني تصبح فيه نيران بلهاء موقودة •

اغرق في العرق •• امسح عن جبينه جردلا كاملا منه • آتي بمنشفة امررها على صدره ، الذي برد شفاء حقيقي الجمود ••

– عمار ماذا تشكو ؟•

– رأسي ماما يكاد ينفجر مافيه • ما اخزن فيه من امان حلوة •

اضغط على رأسه •

– ماما اريد ماء سخيا باردا •

انتفضت بثورة •

– اشرب ياحبيبي • مرحى لا آله الغرباء • المجنون • يشرب عمار الماء ببطء مرهق •

يصرخ بفظاعة وهول ••

– ماما ادعي لي • ان اكون بخير • لارى السلام يعم ارض بني الانسان ••

ارى انهيار الهي في عيني عمار المحروقتين بصورة مبهمة جبارة ••

يزيد نبضه الدافيء • احتضن وجهه بحنان غامض ، أشرب عرقه الاسمر • امسك رأسه • مرة اخرى اغمس اصابعي في شعره المتمرد • ارتوى منه نظرة اخيرة • تضاجع مدينتي المبهمة الالوان •

ترقص اجفانه بخفة مشاخصة ، تغوص فيها آبار من التساؤل الحار ••

يهوى رأس عمار على يدي باستسلام مسموم • ينام بحنو مراهق • تنام معه صورة خالدة لعالم الانسان المسالم ••

انظر الى كتلة اللحم المسعور • انغرست فيه أسياخ من صور المرئيات المتواثبة بوحشية وسخرية ، أبكي برعونة ، اسحب ليلا اهتز فيه انين مخنوق ، امرأة تصرعها المأساة الحارة • تمزق صرير الفضاء العاري • يعوي فيها فجر لم يكتمل بعد ••

عمار • يموت باهمال رهيب بلا صراخ – بلا لذة – بلا عنف •

زلزل فيه اله حاقد • اجتاح عمقي الجبان •

خطط بجرأة حدود ابعادنا • برقة انسانية عارية ، مات في بلادة ، مفرطة • ليعانق من جديد فهم اله الغرباء • في لقاء مذهل • يمنحني القدرة على ان احقق لعمار نهمه الغض في عملي من اجله • من اجل الانسان في كل مكان •

● **عالية رمزي**



« ماهر عيون السود »

قضى « ماجد » هذا اليوم كما قضى أيام السنوات الماضية ... صباحا في وظيفته .. وعصرا بين الاصدقاء للمرح والحبور والنكات المتتالية .. ومساء في الشارع الرئيسي ذهابا وايابا ... وليلا في تمام الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل في غرفته التي تضم سريرا فقط ... وبعض المناظر الطبيعية المعلقة على جدرانها ، بينها صورة لولديه « حيان وعبد الرحمن » وفي وسطها طاولة مستديرة صفت عليها بعض صحون المأكولات ..!

– جلس « ماجد » على كرسي قرب الطاولة المستديرة .. وحيدا بعيدا عن مشاكل الناس واتعابهم وأمسك باحدى يديه زجاجة خمر وباليد الاخرى قدحا صغيرا يملؤه ببطء ... أعاد الزجاجة الى مكانها وبدأ يرتشف الخمرة شفة تذوقها شفة ... ودخان سيجارته كأنه بخور يمنع الحسد عن السعداء ... ودمدم بصوت خافت ...

أنا الباكي وحدي ... أنا الضاحك مع الناس ... أنا الحزين المتألم من جروحي الدامية الدفينة بروحي الثكلى وقلبي الممزق ... ايه أيتها النفس بالله لا تبخلي علي بأن تجعلي مني سعيدا ... هل هناك نفوس أجدر بالحياة مني ؟.. هل هناك نفوس أحق مني أن تعيش في هذا العالم ؟... ولكن ... أين هي ؟.. رباه لم ينقم علي هؤلاء .. غدا عندما تأتي الساعة ويغتصب مني أعز ما لدي ... سأقول للباكين من حولي ليتني كنت حفرة ترمى بها الاقذار أهون بكثير من أن أتعذب وأتألم في هذه الحياة ... ولماذا ؟..

لأني سأصبح ترابا فتنكرني معارفي واصدقائي واخواني وربما اتخذوا لبنة من ذرات وجودي المنحلة الى تراب وجعلوها حيث تعبث بها الايدي أو تدنسها الاقدام أو جعلوا منها زهرة في روض أو ثمرة في حقل فأصابها عدو لدود لي فتمتع باحداها ووضع الاخرى على صدره الايسر يزين مكمن الحقد علي .. لكن ما العمل ... الضمير ومحبة الانسانية ... أليس لهما مكان أو وجود (وهنا وضع « ماجد » زجاجة الخمر بين شفتيه وجرح ما بقي منها حتى الثمالة لعله يغدو سعيدا)

وحدق بعينيه واذا بفتاة عذراء جميلة الوجه ... ارتسمت أمامه ودموعها تتساقط من مآقي عينيها كقطرات الندى .. فخاطبها قائلا :

– ايه ايتها السعادة .. كلنا رام سهمه وانت الهدف الوحيد ... ولكن هل من مصيب ؟... رب سعيد شقي في نظر نفسه ... ولو كان للاماني حد لانتهت اليك ... أين كنت ؟... بحثت عنك فوجدتك زهرة محاطة بالاشواك .. اجري وراءك ... فتبتعدي عني ... أنت فراشة مغرورة ترفرف فوق وريقات الورد .. لمسة رقيقة منك واذا بالحلم الضائع حقيقة ماثلة أمامي ... والجرح المندمل على عجل ينزف دمه .

– نعم « ماجد » أنا السعادة ... اعلم يا أخي انك في موعد صراع مع الحياة .. مع الزمن .. واعلم ان هذا الزمن يخيفكم انتم معاشر الناس لانه يجري بسرعة رهيبة مرهقة .. انه كالسيف تماما ان لم تقطعه قطعك ..

انت يا صديقي ... كم وكم كنت أسعى جاهدة لتأمين مستقبلك الزاهر الذي ينتظرك .. واخيرا كنت أحلم اني واياك في وسط جموع مكتظة بالناس في رقعة غريبة من الارض لم تطأها قدماي من قبل .. كنا نقف على ضفة نهر عظيم مع آلاف الخلائق نحاول عبور ذلك النهر الصاخب سباحة الى الضفة الثانية حيث النخيل المياد والحدائق الغناء تنبعث منها اعذب الاغاني واسحر الانغام

... كان اولئك الناس يقتتلون في سبيل الوصول الى تلك الضفة ، فمنهم من يصل سالما ومنهم من يسلم الروح وسط تلك الامواج المتلاطمة المزبدة ... ودمعت عيناك حسرة وانت تنظر مع الناظرين الى تلك الجنة المسحورة وتقول لي .. علي أن أعبر هذا النهر المميت ايتهـا السعادة ... فأجبتك لا شيء مستحيل فلنجرب معا في ذلك الموت المؤكد ... فما اعذبه من نهاية لمن ينشـد العظمة وحيـاة المجـد التليد ... وهنا أخذت بيـدك وحملتك على ظهري وبدأت أتلقى صفعات الامواج بنفس ساخرة متحدية حتى اذا ما بلغت من الشوط نهايتـه أوكدت .. قذفتك بسرعة الى الامام وأنا أقول : هاك الشاطىء على بعد أمتار منك فجاهد للوصول اليه بنفسك ...اياك أن تتراجع واذكرني في نعيمك ولا تنسني أيها الصديق ... ثم خارب قواي فابتلعني الموج وغيبني في طيات أعماقه السحيقة وأنا في أقصى درجات السرور ..!

هذا الحلم لا أجد تفسيرا له سوى منهاج حياتك سوى انشغالك بمستقبل الناس ولماذا ؟.. لانه مستقبلك انت ... ولانهم أنت بالذات ... انه طموحك البعيد ذلك الذي فقدته في خضم حياتك وظروفك السيئة ..

اجل « يا ماجد » ان الوردة التي تكون في اعلى الشجرة هي خير الف مرة من الوردة التي في الاسفل وهي أفضل من التي تكون في الوسط ... ذلك أن الوردة التي تكون في الاسفل هي بغير شك عرضة للنعال دائما .. نعال البشرية تطأها وتمضي فوقها بقسـوة حيوانية غير مبالية بها ... وكذلك الوردة التي تكون في الوسط فانها في غير منجى من عبث الابدي التـي لا ترحم ... أما تلك التي تبوأت المكان العالي ... أما تلك التي نهدت الى فوق .. فارتضت الطموح ناموسا وعقيدة لها في الحياة فانها في عيشة مطمئنة ... في مأمن تام عن عبث العابثين ودناءة الاشرار ... وانك لترى البشرية تمر من تحتها ترمقها بنظرة الولاء والمحبـة والعرفان بالجميل .. وما ذلك الجميل لو حللناه الى المبـدأ لوجدناه .. انه المحبة ... المجد وحـده فقط ...

هذا ما اتمناه لك ايها الصديق ... أيها الاخ ... أن لا يقف طموحك عند مرتبة وسط بين المراتب ... وعندما تبلغ ذلك الذي اتمناه ... عندما تتبوأ المكان اللائق حقا بالانسان الفاضل المناضل الطموح ... عند تلك اللحظة استطيع أنا أن اذرف الدمعة التي انتظرها بفارغ الصبر .. دمعة الفرح لاخ شق طريقه نحو المجد والخلود ... وداعا .. وداعا والى اللقاء .

ـ صرخ « ماجد » لقد اختفت سعادتي ... اختفت فجأة .. الى اين ...لا أدري ... عودي الي .. سأعود الى الماضي ... الماضي الجميل ... وسأعلم أن كل ما نعيش به في هذه الحياة لن يبقى منه الا الذكرى والندم ... وهنا صمت « ماجد » صمت القبور في عالم لا يفقه معنى للسر .. للمحبة ... للاشياء الجميلة .. للتضحية ... للانسانية ... ووقع على الارض مفارقا الحياة محطما .

فانتبه ان كنت تريد الحياة :

حمص ـ **ماهر عيون السود**

ابراهيم الداقوقي يقدم :

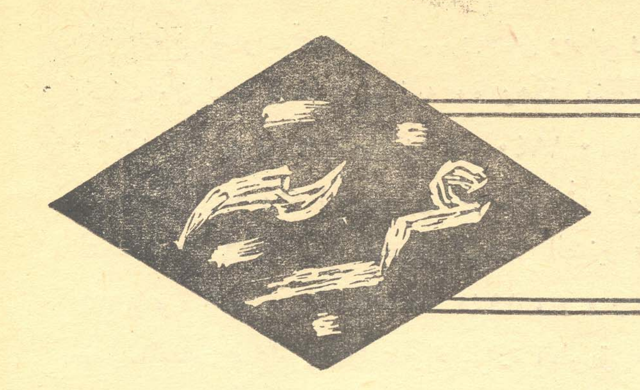
فنون

الأدب الشعبي التركماني

دراسة مستفيضة قيمة عن الأدب التركي

صدر حديثاً عن دار الزمان العراقية

مُناقشات



شتاينبك

قالت الاكاديمية الادبية السويدية انها اختارت « شتاينبك » لجائزة نوبل ١٩٦٢ ـ « لكتاباته الواقعية والتصويرية في نفس الوقت ... ان كتاباته تتميز بفكاهة عاطفية وفهم اجتماعي » ـ .

واضافت الاكاديمية في بيانها الذي اعلنت فيه الجائزة ان شتاينبك « يحتفظ بمكانته ومنجزاته المستقلة بين سادة الادب الاميركي المعاصر الذين منحوا جائزة نوبل بدءا بسنكلر لويس وانتهاء بأرنست همنغواي » .

واستمر البيان معلنا ان « في اسلوب شتاينبك خيط فكاهي يفتدي موضوعه القاسي والمتوحش . ان عواطفه تتجه عادة نحو المضطهدين او المنبوذين والمحزونين » .

« انه يحب أن يقارن بين الفرح البسيط بالحياة مع الاشتياق المتكالب والمتوحش للمال . كما ونجد في كتاباته الطبع الاميركي معبرا في الشعور العظيم نحو الطبقية ، نحو الارض المزروعة ، نحو الارض البور ، نحو الجبال وشواطىء المحيط ..

« وفي هذا العرض الموجز يصبح من المستحيل ان تتكلم باستفاضة عن الاعمال الفردية الاخيرة التي انتجها شتاينبك .

« واذا حدث أن لاحظ النقاد في بعض اطالات ، بعض امارات التكرار والضعف التي قد تشير الى انحدار في الحيوية ، فان شتاينبك قد بدد هذه المخاوف مؤخرا في قصته التي صدرت عام ١٩٦١ بعنوان « شتاء سخطنا » ـ المترجمة الى العربية بعنوان « حين فقدنا الرضا » ..

« فهنا استطاع ان يحافظ على نفس مستوى « عناقيد الغضب »» وان يتابع في نفس الوقت مكانته كمكتشف مستقل للحقيقة بغزيرة غير متحاملة لما هو اميركي اصلا ، سواء كان جيدا ام رديئا .

ولقد كان منافسوا شتاينبك الرئيسيين ، من بين ستين شخصا ، أربعة : الشاعر التشيلي بابلو نيرودا ، وكاتبين بريطانيين ، روبرت جريفز ولورنس داريل ..

كان « فنجان الذهب » هو أول كتاب نشره عام ١٩٢٩ ورابع كتاب ألفه وهو عرض تاريخي جزئي رومانطيقي لهنري مورجان القرصان الانجليزي . ولم يعد عليه الكتاب بمال وفير ، وانما بكمية كافية ليتزوج من كارول هيننج الكاتبة .

وتبع ذلك في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ كتابا « مراعي السماء » و « الى اله غير معروف » .. ولكن شهرته الشعبية الواسعة لم ينلها الا بعد اصدار كتاب « سطح تورليتا » عام ١٩٣٥ .

وفي عام ١٩٣٧ أصدر كتاب « الفئران والرجال » وفي ذهنه العمل المسرحي . وقد نال هذا الكتاب منحة النقاد العام ١٩٣٨ .

واكتسب شتاينبك عام ١٩٣٩ أوسع شهرة وأوقد جدلا في طول البلاد وعرضها باصداره كتاب « عناقيد الغضب » الذي يعرض فيه ، استنادا الى معلوماته العينية ، ما يقاسيه العمال الزراعيون المهاجرون في كاليفورنيا ..

ان دفاعه عن حقوق العمال الزراعيين ـ وهو موضوع [illegible] كتبه ـ أقام شهرته .. ولقد أبرز

هذا الدفاع باسلوب قصصي أخاذ ، وبحس وصفي واقعي وصف بأن ليس هناك ما يوازيه .. وهكذا منح كتابه « عناقيد الغضب » جائزة بوليتزر عام ١٩٤٠ .

وهذه مجموعة اخرى من كتبه : « في معركة الشك » عام ١٩٣٦ ، « الحصان الاحمر الصغير » عام ١٩٣٧ ، « القمر في القاع » عام ١٩٤٢ ، و « جمهور معمل المعلبات » عام ١٩٤٤ ، و « سيارة الطريق » عام ١٩٤٧ ، و « أوراق روسية » عام ١٩٤٩ و « الشعلة المتقدة » عام ١٩٥١ ، و « شرقي عدن » عام ١٩٥٢ و « الخميس الحلو » ، عام ١٩٥٤ ، و « حكم بين الرابع القصير » عام ١٩٥٧ ، و « كان هناك حرب » عام ١٩٥٨ ، و « خشبة من بحر كورتز » عام ١٩٥٨ ، و « رحلات من شارلي للبحث عن اميركا » عام ١٩٦٢ .

وفيما يلي نص مقابلة صحفية كتبها محرر جريدة « النيويورك هيرالد تريبيون » بعد أن قابل شتاينبك بمناسبة منحه جائزة نوبل .. وسوف نلاحظ السرعة والدقة والقوة في هذه القطعة الصغيرة :

« ان جون شتاينبك الذي يظهر كقرصان من عهد اليزابيت ، من اشد كتاب الولايات المتحدة خجلا . ولقد تناقل الناس خبر منحه جائزة نوبل للادب ، ولكنه في مؤتمر صحفي رفض كل الدعوات التي وجهت اليه .

لقد أجاب شتاينبك على أسئلة مجموعة من الصحفيين بصوت خافت سمع بصعوبة في غرفة صغيرة وأمامه ثماني مكبرات صوت .. وكان في ذلك الوقت ينفث دخان سيجاره الرفيع والصغير ، ويغمض عينيه باستمرار نتيجة أضواء التلفزيون الساطعة ، وكان يتنفس بعمق ليتغلب على عصبيته ..

كيف أحس حين علم بفوزه بالجائزة ؟ « لقد طار فرحا » ...

ماذا كان أول شعور انتابه حين علم بذلك ؟ « عدم التصديق » .

ماذا فعل بعد ذلك ؟ « تناول فنجانا آخر من القهوة » ..

وهنا علق أحد الصحفيين : « قالت زوجتك انك دهشت وصدمت » .. ورفع شتاينبك حاجبيه قائلا : « اعتقد ذلك » .. ألا تفعل أنت كما فعلت »

ما هو كتابك المحبب ؟ « الكتاب الذي أكتبه الآن » .. ماذا تكتب ؟ « اذا أخبرتكم فانني لن أكتبه أبدا .

ـ هل تعتقد أن قصاصي اليوم مهتمين بالعدل الاجتماعي ؟

« لا أعرف . واذا لم يكونوا كذلك فيجب أن يكونوا » .

ـ هل لك من نصيحة تقدمها للقصاصين المحدثين ؟

« كلا » ..

بماذا تكتب ؟

ـ « بقلم رصاص »

ـ كم يوم تكتب ؟

ـ « ستة أيام في الاسبوع وربما سبعة »

ـ ما هو عمل القصصي الرئيسي ؟

ـ « ان ينتقد » . ـ « ان عمل القصصي ان ينتقد .. والانتقاد معناه الاختلاف .. وواجب المؤلف ان يتحيز عن النقاد ، خاصة حين يتأكد انهم لم يقرأوا الانتاج الذي ينتقدونه » .

ـ من هم الكتاب الذين تحبهم ؟

ـ « لقد ماتوا .. فولكنر وهمنغواي » .. انه معجب بقصص همنغواي القصيرة وبكل ماكتبه فولكنر .

ـ لماذا تكتب ؟

ـ « ربما لنوع من المزاج العصبي : انا حيوان ولكنني مسرور بذلك » ..

واخيرا قال شتاينبك مجيبا على سؤال لماذا يجب أن يعيش في ميناء : « هناك ماء وأنا أحب الماء .. احب القوارب الصغيرة .. احب صيد الاسماك .. أحب أن أبقى وحيدا . »

وبعد ذلك ابتسم للصحافيين وقال : «لاتضايقوني»..

وليم فوكنر

في رواية « الصخب والعنف »

بقلم : جبرا ابراهيم جبرا

في ٦ تموز ١٩٦٢ توفي وليم فوكنر ، الروائي الامريكي الذي كان قد حاز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٠ .

وقد كنت حين سمعت نعيه منهمكا بنقل روايته « الصخب والعنف » الى العربية فبدا لي ان ترجمة هذه الرواية تضاعفت ضرورتها واصبحت امرا لا بد منه لنا . فقد قرر الرأي في كل ما قيل عن فوكنر بعد وفاته على أن « الصخب والعنف » ليست أعظم ما كتب من روايات فحسب ، بل انها من أهم روايات هذا القرن .

لم تكن هذه الرواية ، حين نشرها عام ١٩٢٩ وبعد ان اشتغل عليها زهاء السنوات الثلاث ، هي التي لفتت الانظار اليه . فكالكثير من روائع الانسان ، بقيت « الصخب والعنف » مهملة سنين عديدة ، رغم اعجاب بعض النقاد بها ، وروايات فوكنر تتوالى ازاء جمهور مشدوه . الى أن جعلت خطة الكاتب تتضح في رواياته اللاحقة المتشابكة ، واذا هو يحاول خلق عالم كامل في اطار جغرافي من وضعه ، ملاه بالاحداث والشخصيات المتصلة المتواشجة ، مسلسلا اياها قصة في اثر قصة ، على مستويات عديدة من الزمن . وفي هذا العالم الذي يوجده ، يصور الانسان مع فضائله ورذائله ضمن نطاقين هامين : نطاق الاسرة ونطاق الريف والمدينة .

والطريف ان فوكنر وضع في نهاية روايته « ابشالوم ابشالوم » خارطة لهذه المنطقة الخيالية ـ الحقيقية ، عين فيها اماكن احداث رواياته ، وكتب تحتها :

جفرسن ، مقاطعة يوكناباتوفا ، ولاية مسيسبي

المساحة ٢٫٤٠٠ ميل مربع ، السكان البيض ٦٢٩٨ ، الزنوج ٩٣١٣ .

وليم فوكنر ، صاحبها ومالكها الاوحد .

هذه المقاطعة ، التي صاحبها ومالكها الاوحد وليم فوكنر ، تحقق ذلك الهدف العسير الذي يتجه نحوه كل فن عظيم : اندماج الخاص في المطلق . فيوكنا باتوفا بقصبتها « جفرسن » ، انما هي مقاطعة فوكنر نفسه في جنوب الولايات المتحدة ، بما فيها من تقاليد عريقة متداعية وعلائق مأسوية بين البيض والسود . ولكنها ايضا ذلك العالم الاصغر الذي تتعكس فيه قوى الحياة والموت ، قوى النمو والازدهار والضمور . ويلخص فوكنر الكثير من ذلك في العنوان الذي اختاره لروايته (التي كانت الخامسة ترتيبا ، ولكنها القاعدة من بنائه العريض) ، « الصخب والعنف » . وقد اخذ اللفظتين من قول لشكسبير في في « مكبث » ، يفوه به مكبث ساعة يعلم بانتحار زوجته العاتية وتألب جيوش سكوتلنده عليه لجرائمه وطغيانه . يدرك مكبث عبث الحياة التي خاض الدماء من أجلها ، فيصفها بصور حسية يصعب نسيانها : انها « شمعة وجيزة ... ظل يمشي ... ممثل يستشيط ويصرخ ساعة على المسرح ، ثم لا يسمع ابدا ... انها حكاية يقصها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف ، ولا تعني أي شيء . »

ويبدأ فوكنر بالمعتوه اياه يقص حكاية آل كمبسن ، على غرار منقطع غامض لا عقلاني .. وهو في الظاهر ليس بمعتوه دستويفسكي ، الامير ميشكن الذي يجابه تعقيد المجتمع وجرائمه بمسيحية بسيطة سمحاء « غير واقعية » تجعل الناس يسمونه معتوها . ان بنجي معتوه لا ينطبق ولا يعلل حتى لنفسه ، ولا يستطيع سوى الحس والبكاء . وبكاؤه يتردد خلال

الرواية ، خلال الصخب والعنف ، كأنه صوت كل بؤس لا صوت له ، بحيث يغدو في النهاية ، ببراءته وبدائيته رمزا للمسيح المعذب (فهو ايضا في الثالثة والثلاثين من عمره) ، او رمزا للضحية التي تتجاوزها دوافع الشر بقسوة عمياء ، ولكنها مع ذلك لا تستطيع ان تغفل عنها • فهذه الضحية الحية تبقى في الوسط من الاحداث ـ احداث الصراع العائلي في اسرة تتجاذبها افرادها في اتجاها مضادة الى ان تتمزق • وتتجلى عبقرية فوكنر في طريقته ، ثم ينتهي الى سرد الوقائع كما يراها هو ، باسلوبه • والقسم الثاني من الكتاب ، حيث يسرد « كونتن » قصة انتحاره ، صاعدا نازلا بين المستويات الزمنية ، ومستويات الوعي واللاوعي ، هو معجزة فوكنر ، ومن أعجب ما كتب في الادب • انه المأساة الانسانية التي « لا تعني أي شيء » ، وتعني كل شيء • فكونتن يمثل مأساة الحضارة والذكاء والزمن • اجمل ما في الحياة وقد التهمه عبث الزمن ، وانتهى الى جثة غريقة في النهر وقد ربطت حولها قطعتان ثقيلتان من الحديد ، في انتظار يوم القيامة ، يوم يسمع صوت الله اذ يقول : انهضوا •••

في الرواية كلها هوس بالارض وهوس بالزمن ، يجريان فيها كنهر جوفي يبرز ويفيض ، ويترك فعله العنيف في الاشخاص •

فالاب ، جاسن كمبسن ، يضطر الى بيع قطعة الارض التابعة للبيت والتي توارثتها الاسرة لعدة اجيال ، لكي يستطيع بثمنها ان يرسل ابنه كونتن الى هارفرد وينفق على زفاف ابنته كادي • غير ان بيع هذه الارض يصبح اشبه بلعنة تحل على البيت • فما النتيجة الا انتحار كونتن وهو لم يكد ينهي عامه الاول في هارفرد وطلاق كادي وتمرغها في اوحال الرذيلة واحترافها البغاء ، وتآمر جاسن ، الاخ الثالث ، على امه وابنة اخته طمعا في المال ، لانه لم يبق له ارض ولم ينل فلسا من ثمن الارض التي بيعت • تتحرك الدوافع في كل فرد من افراد الاسرة منطلقة من اعماقهم كشيء قدري محتوم ، غير ان فكرة بيع الارض لناد من اندية الغولف تبقى تتردد رمزا لتفكك روابط النبل بين ذوي الارض واستخذائهم لحضارة المدينة التي تغزوهم ، وهي التي لا يرى فوكنر فيها الا الشر والفساد •

أما الهوس بالزمن فهو هذا الذي نراه في الساعات التي تدقدق في كل مكان : في البيت المتهافت ، وعلى منضدة كونتن في الجامعة ، وفي جيبه ، وفي دكان الساعاتي وعلى البرج في ميدان جفرسن • والطريقة المعقدة البارعة التي ابتدعها المؤلف في روايته هذه ما غرضها الاول الا تصوير اثر الزمن في الوعي ، ووضعنا في نقطة الالتقاء من خطوط زمنية عديدة ، حيث الماضي والحاضر قائمان معا ، حيث الامس واليوم متداخلان باستمرار •

ولكل فرد من آل كمبسن يعني الزمن ما يعنيه للآخر • فهو يسير عاتيا • يدق ربعا ربعا في ساعة المدينة ، ويهذر بالثواني في ساعة كونتن التي كسر عقربيها وحملها في جيبه في طريقه الى الانتحار • أما لاخيه جاسن فهو التسلسل الذي يسير حياته التافهة في دكان تافه • من العمل الى الاكل الى النوم •

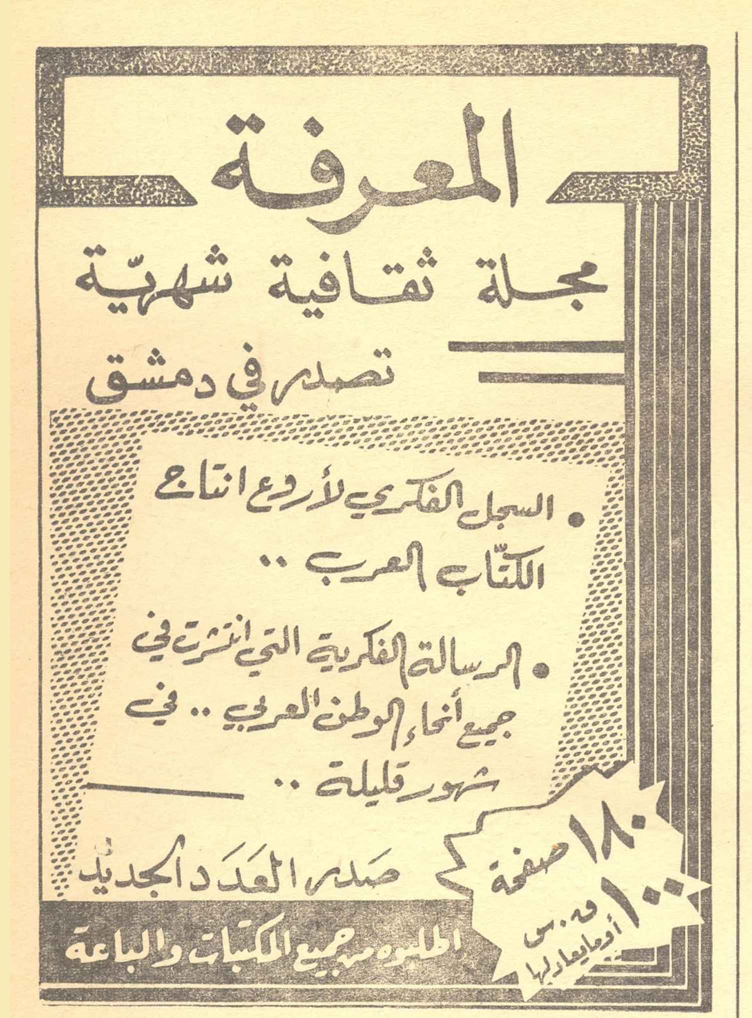
ومن شهر الى شهر يراكم فيه ما يسرق من مال ابنة اخته لسبعة عشر عاما متواليا ••• الى ان تسلبه الفتاة آلاف الدولارات التي جمعها بضربة واحدة قاضية ••• ويؤول الزمن بالبيت الكريم القديم الى نزل يحل فيه صغار القرويين •

« ••• مأساتنا اليوم » ، يقول فوكنر في خطابه الشهير يوم تقبل جائزة نوبل ، « خوف جسدي طاغ في الكون كله قاسيناه زمنا طويلا حتى بات في مقدورنا حتى أن نتحمله • لم تعد ثمة مشكلات روحية • لم يعد ثمة الا سؤال واحد : متى سأنسف من الوجود ؟ ولهذا السبب ، فقد نسى الشباب الكتاب اليوم مشكلات القلب الانساني وهو في صراع مع نفسه ، وهي وحدها التي تستطيع ان تصنع جيد الادب ، لان ما من شيء يستحق الكتابة الاها هي ، وما من شيء الاها يستحق الالم والعرق • »

ويستمر فوكنر فيقول ، وكأنه يوضح ايماءاته

الغزيرة في « الصخب والعنف » التي كان قد كتبها قبل ذلك بأكثر من عشرين سنة : « وعلى الكاتب ان يتعلم تلك المشكلات . عليه ان يعلم نفسه ان احط الامور كلها هو ان يكون المرء خائفا . وحالما يلقن نفسه ذلك ، عليه ان ينساه الى الابد ، فلا يترك مجالا في مشغله لشيء سوى حقائق القلب القديمة ويقيناته ، تلك الحقائق الشاملة القديمة ، التي لن تكون قصة بدونها الا شيئا واهيا مقضيا عليه - الحب والشرف والشفقة والكرامة والعطف والتضحية . والى ان يفعل ذلك سيكون موضع اللعنة في كل ما يجهد فيه ... »

ان « الصخب والعنف » قصة هذا « القلب الانساني في صراع مع نفسه » ، قصة « الحب والشرف والشفقة والعطف والتضحية » في عالم من الفحشاء والقتل والانتحار والقسوة والخيانة . في ظلامها المأسوي نتحسس طريقنا في آجام جفرسن النائية من مقاطعة يوكنا باتوفا ، التي صاحبها ومالكها الاوحد هو وليم فوكنر .



شركة شل

تقدم

أسمى أيات التبريك للشعب العربى السوري

بحلول العام الجديد ١٩٦٣

ربروت شومان ..

النصير الأكبر للموسيقى الرومانتيكيه في أوروبا

ينفرد روبرت شومان بمكان خاص احتفظ له به تاريخ الموسيقى في اوربا في القرن التاسع عشر .. فقد كان شومان الى جانب تميزه في التأليف الموسيقي .. الناقد الموسيقي الاكبر في زمانه وصاحب أوسع المجلات الموسيقية انتشارا والنصير الاعظم للحركة الرومانتيكية التي كانت تناضل في وجه المعارضين لها والساعين الى القضاء عليها .

والى شومان يرجع الفضل في شد ازر اثنين من اهم الموسيقيين الرومانتيكيين .. شوبان وبرامز .. فقد لفت شومان الانظار الى يوهان برامز عندما كتب مقالا نقديا عن اعماله .. وفيه تنبأ بأن برامز سيكون امتدادا لفن بيتهوفن ..

وقد تحققت تنبؤاته ... كما ساند شوبان عبقري البيانو ودعمه .. وتولى الدفاع عنه ضد هجمات غيره من النقاد .. وخاصة النقاد الباريسيين الذين لم يتحمسوا لشوبان في بدء حياته الفنية . ومرة اخرى ثبت بعد نظر شومان وحقق شوبان ما توقعه له الناقد الالماني ..

لقد عمل شومان على نشر اعمال فرانز شوبرت كما انه تابع التنقيب عن اعمال شوبرت بعد وفاته .. واكتشف اهم سيمفونياته .. وهي السيمفونية السابعة « دو الكبير » فكانت كسبا كبيرا للتراث الموسيقي الذي خلفه شوبرت بعد وفاته ..

الدكتور شومان ..

ولقد تعلم الدكتور شومان عزف البيانو وهو في الثامنة .. ولم يكن يهدف من هذه الدراسة الاتجاه الى الموسيقى يهبها حياته عاملا في حقلها الكبير ... فقد كانت عائلته ترجو ان يدرس شومان القانون .. ولكن هذا لم يمنع اهله من ان يفكروا في تزويده بالثقافة الموسيقية التي تخلع على دراساته القانونية ثوبا من الانسانية والاحساس بالناس ..

والفن هو اقصر الطرق الى الاحساس بالناس .. فأرادوا ان يعهدوا به الى كارل ماريا فون فيبر .. المؤلف الشهير في عصره ليعلمه .. ولكن فيبر كان مشغولا في تأليف اوبرا « اوبرن » المشهورة .. وسافر بعدها الى لندن فلم تتهيأ لشومان الفرصة ليتتلمذ على الاستاذ الكبير.

وكان شومان من بيت يهتم بالثقافة .. فقد كان أبوه ناشرا .. ومع دراسته للبيانو دخل الجامعة .. وقرأ « كانت » و « شيلنج » .. واستزاد من الفلسفة وعلوم الجمال .. وبدأ يدرس القانون .. ولكن الموسيقى كانت تستحوز أكبر قسط من تفكيره .. وانغمس في التدريب على عزف البيانو .. وفي نفس الوقت حاول جادا كتابة الشعر .. وسئم دراسة القانون فترك جامعة ليبزيغ .. والتحق بجامعة هايدلبرج .. وتركها هي الاخرى دون ان يتم دراسة القانون ..

ولم يكن شومان حريصا على انهاء دراسته الجامعية في باديء الامر .. ولكنه وجد نفسه في موقف يحتم عليه ان يعدل عن هذا .. فقد أحب فتاة جميلة.. كان لها اكبر الاثر في حياته الفنية فيما بعد .. ورفض أبوها ان يزوجها له .. بحجة انه ليس كفؤا لتهيئة حياة مستقرة لها .. فكان رد شومان البسيط هو ان يحصل على الدكتوراه في الفلسفة فيحقق لنفسه في الوسط الفني مكانا لم يكن له مثيل بين معاصريه ... هكذا يفعل الحب بالفنان ..

المجتمع والموسيقى ..

اذا وقفنا لحظة عن السبب في حصول شومان على الدكتوراه في الفلسفة .. وهو الذي وهب نفسه للموسيقى .. نجد ان التاريخ يعيد نفسه . ففي المجتمع

العربي كان الموسيقي فيما مضى يجد صعوبة كبيرة في ان يحتل لنفسه المكان اللائق بالفن الجميل الذي ينتمي اليه .. بل لقد كان الموسيقي واحدا من ثلاثة لا تقبل المحكمة شهادته في مصر في صدر القرن العشرين .

بل لقد سعى الموسيقيون الى اصحاب الجاه من الباشاوات والحكام يحتمون بهم .. ولم يكن حال الموسيقيين في اوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بأحسن من ذلك .. فقد كان كل منهم تابعا لنبيل او امير .. ولقد تبدل الحال هنا وهناك .. وكان شومان اول من حمل درجة دكتوراه .. وقد حصل عليها بالعلم والعمل والبحث .. ولم تكن درجة فخرية .. ولذلك كان شومان اول دكتور بين المؤلفين ..

نهاية وبداية ..

انهارت آمال شومان في أن يصبح عازفا قديرا على البيانو .. بالرغم من تتلمذه على أحد كبار اساتذة عصره فريدريك فيك .. فقد كان شومان مغاليا في ارهاق نفسه بالتدريب .. بل لقد حاول ان يزيد من قدرة أصابعه فاخترع وسيلة ميكانيكية لتقوية كل اصبع على حدة .. فأصاب احداها بشلل موضعي أفقده كل أمل في أن يصبح عازفا كبيرا .. فاتجه الى التأليف .. ولذلك درس فنون الهارموني .. وهو بديع الموسيقى.. ولما مستقبل في التأليف لمن لم يدرس بيان الموسيقى وبديعها .. وانتج شومان كل أنواع الموسيقى .. ففي الغناء كتب ما يزيد على مائة اغنية « ليدر » ... واوبرا جينوفيفا ... وقداسا ... واوراتوريو ، الى جانب عدة مقطوعات للكورس .. وبعض مناظر في فاوست.. وقصة جوتيه .. اما للاوركسترا فقد كتب اربع سمفونيات واربع افتتاحيات .. كما كتب الرباعيات والثلاثيات والخماسيات الوترية .. وكذلك ثلاث ثلاثيات للبيانو .. وخماسية للبيانو والوتريات .. وفانتازي للكمان وكونشرتو للبيانو ... والموسيقى التصويرية لملحمة « مانفريد » للورد بايرون .. لقد كان شومان مؤلفا موسيقيا يكتب الاغنية والاوبرا .. ويكتب للاوركسترا وللآلات المنفردة ومجاميعها ..

الحب الأول

ويسود الاعتقاد ان الحب الاول في حياة شومان كان لزوجته كلارا .. ابنة استاذه فيك .. ولكن الحقيقة ان حب شومان الاول والاخير والوحيد كان للبيانو .. لقد كتب شومان عددا ضخما من المقطوعات لآلة البيانو .. اشهرها « متابعة الكرنفال » و « الفراشات » .. ويبدو شغف شومان بالبيانو من خلال جميع المؤلفات التي كتبها للاوركسترا .. وربما كان البيانو سببا في زواج شومان من زوجته كلارا .. فقد كانت الى جانب جمالها عازفة جبارة على البيانو .. وقد أحب فيها شومان قدرتها الفائقة التي حرم هو منها بعد اصابة يده ... **وأحبت هي فيه الفنان المبدع** وقد تزوجته رغم أنف ابيها وبحكم من المحكمة قبل ان تبلغ سن الرشد بيوم واحد ..

ولم تتجه انظار الجماهير الى فن شومان الا عندما كتب أغانيه العاطفية « ليدر » التي ضمنها حبه لزوجته كلارا عندما كان عمره ٣٠ سنة .. وقد جعلت كلارا من نفسها رسول محبة بينه وبين الجماهير .. ومنها عرف الناس فنه في مجال الآلات والاوركسترا .. فكانت حبيبته أثناء حياته .. ومن بعده حملت لواء نشر فنه بين الجماهير ..

شركة سوكوني فاكوم - دمشق

تقدم للشعب العربي السوري

أطيب التهاني بحلول العام الجديد



مدينة للطلاب عند طرف الغابة

(حول مشروع المجموعة المعمارية لجامعة صداقة الشعوب)

بقلم : آ . لوبيموف

ان جامعة باتريس لومومبا لصداقة الشعوب ، هذه المدرسة للدراسات العالية واحدث جامعة في العاصمة السوفييتية ، فازت سريعا بالشهرة في كثير من بلدان العالم .

فيها يتلقى أبناء مختلف الشعوب من جميع الاجناس ، من بيض وسود وصفر ، تعليمهم وثقافتهم متعاونين كاخوة ، حتى اذا انتهوا من ذلك عادوا الى بلدانهم اختصاصيين ماهرين .

في كل سنة يزداد عدد الراغبين في الانتساب لهذه الجامعة . وتضيق بهم المباني التي تؤويهم حاليا . ولهذا تقرر انشاء مجموعة جديدة من المباني للجامعة في موسكو . وستكون هذه المجموعة مدينة جامعية حقيقية. تتوفر فيها جميع الشروط اللازمة للدراسة المثمرة .

قرر معهد « موسى بروييكت » انشاء المباني الرئيسية للكليات ومباني النادي ومجموعة المنشآت الرياضية وأخيرا انشاء حي للسكن . وسيبدأ بانشاء مبان للسكن .

يقول فلاديمير فورسوف ، أحد واضعي المشروع، **ان أكثر من ٧٠ هكتارا قد خصص في المنطقة الجنوبية الغربية من موسكو لمجموعة مباني جامعة الصداقة ، في مكان تكثر فيه الاشجار وتمتد بقربه غابة وارفة** الظلال ، وينتهي عند شارع كثير الحركة في المدينة ، هو الشارع المؤدي الى مطار فنوكوفو . ويكفي ان تقطع هذا الطريق حتى نجد نفسك في المكان الذي ستبدأ فيه قريبا أعمال بناء الحي السكني التجريبي للعاصمة الذي سيتسع لاربعين الف نسمة .

تستطيع منذ الآن أن نشير الى العناصر الرئيسية لحي الطلاب السكني . انه ستألف من عدة مجموعات من دور السكن الموزعة على طرف الغابة . ويراد انشاء خمس مجموعات من هذا النوع في كل منها بنايتان (منامتان) من خمس طوابق مبنيتان بالقطع الكبيرة الجاهزة وموصولتان بعمارة من طابق أرضي واحد .

ويرتأى المهندسون المعماريون أن تكون هذه المباني الطلاب العزاب والمتزوجين وذوي الاطفال .

سيقطن الطلاب العزاب كل ثلاثة منهم في شقة مساحتها ١٨ مترا مربعا ، أما المتزوجون فكل زوج منهم سيقيم في شقة مساحتها ١٣ مترا مربعا على نمط الغرف التي في الفنادق . وأما الزوجان الطالبان اللذان لهما

أولاد فسيقيمان في شقة مساحتها ١٨ ترا مربعا مع مطبخ صغير •

وبديهي أن جميع الشقق ستكون مجهزة بكل وسائل الراحة المتوفرة في المدن • وسيتيح الاثاث المدموج بعضه ببعض توفير المساحة القابلة للسكن وتقديم مجالات جديدة **للراحة** •

وستكون في مباني الطابق الارضي صوانات الثياب والقاعات والبوفيهات وغرف الاستراحة • وسيتمكن الطلاب من الاستعداد للدروس في غرف خاصة •

ولما كان الشباب يحبون الرفقة والمرح فقد سعى واضعو المشروع الى جعل أماكن خاصة للطلاب يستطيعون فيها الاجتماع واقامة الحفلات وسهرات الفنانين الهواة • ويمكن للقاعات ان تتغير بسهولة فبنقل الحواجز التي تفصل البوفية عن غرف الاستراحة يصبح لدى الطلاب مقهى ومنتدى طريف •

وستقوم بناية وسط الحي السكني تكون فيه تصليح الاحذية والمطاعم ومشاغل تصليح الالبسة •

ستبدأ أعمال هذه السنة بالطرق الصناعية السريعة وعما قريب ستظهر مجموعة معمارية جديدة تستحق الاهتمام في المنطقة الجنوبية الشرقية من موسكو •

كلام الثورة :

مشروع المباني السكنية لجامعة باتريس لومومبا لصداقة الشعوب بموسكو •

وكانت الكاميرا أيضا الى جانب البطلين في الايام الاخيرة من اقامتهما في موسكو قبل الانطلاق • فنرى رائدي الفضاء نيقولايف وبوبوفتش مع زوجة الاخير وابنته وهم يتنزهون في موسكو ويزورون الاماكن المحبوبة عندهم ويقتربون من أعز الامكنة الى قلب كل سوفييتي وهو ضريح لينين •

ان هذا المشهد يكتسب معنى فلسفيا •

ويقول بافيل بوبوفتش انه اثناء عرض الفلم عاش جميع الاحاسيس التي انتابته أثناء تحليقه ، وفكر من جديد بجمال الارض وجنون القوى التي تهدد مستقبلها •

وينتهي الفلم بمشاهد رمزية • فمن جديد نرى مطار فنوكوفو بموسكو • ومن جديد تتدحرج الطائرة نحو البناء الفضي • ومن بوابة الطائرة تنزل عدسة الكاميرا الى تحت بواسطة السلم ونرى السجادة والمحطة الجوية مع العيون التي تتبع يوري غاغارين وجيرمان تيتوف واندريان نيقولاييف وبافيل بوبوفتش •

قنصلية حكومة المانية الديمقراطية

تقدم أصدق التهاني للشعب العربي السوري الصديق

بمناسبة حلول العام الجديد ١٩٦٣

دمشق - الجمهورية العربية السورية

العلماء الشبان في الحضارة السريانية

بقلم : ا. بيلوف

انهى مؤخرا خمسة من علماء الحضارة السريانية دروسهم في الكلية الشرقية بجامعة لينغراد . لقد درسوا لغة وآداب وتاريخ وفنون شعوب آشور وبابل وشمر - أقدم الحضارات التي تفتحت أزهارها فيما مضى في وادي دجلة والفرات ، فوق الارض السعيدة ، ارض ما بين النهرين .

وتاريخ وثقافة تلك الامم ان هي الا ماضي العراق ، هذا الماضي البعيد الذي لا ينسى ، انها صفحة مؤثرة في تاريخ الانسانية كلها . فأساطير وحكايات الشعوب التي كانت تقطن أراضي « بلاد ما بين النهرين» وما حققه قدموها من علماء الرياضيات والفلك والاطباء ومساحي الاراضي قد أصبح منذ زمن طويل ملك الانسانية كلها .

ومن بين علماء الحضارة الاشورية الخمسة واحد فقط هو فيليكس شاخوف من أصل لينغرادي أما الاخرون فمن مدن سوفييتية أخرى .

وهؤلاء العلماء الشبان اختصاصيون جيدو الاختصاص فقد درس كل واحد منهم ، عدا عدة لغات اوروبية ٦ الى ٧ لغات شرقية لكلدانية (الاشورية البابلية) والسومرية والعربية والفينيقية والعبرية والآرامية والاورارطو . لقد درسوا بادارة الاكاديمي فاسيلي ستروفيه والعضو المراسل في اكاديمية علوم ارمينيا السوفييتية بوريس بيوتروفسكي والاستاذ . أ . فينيكوف وغيرهم ن مشاهير العلماء السوفييتيين .

ومواضيع شهادات هؤلاء العلماء الشبان هامة جدا وهي تدل على مدى اهتمامهم العلمي كما تبين في الوقت نفسه ميولهم وأذواقهم الشخصية . فقد كانت سفتلانا كالوغر مغرمة منذ نعومة أظافرها بالفنون التشكيلية .

وعندما أصبحت طالبة في جامعة لينغراد أخذت تقضي كل أوقات فراغها في الجناح المخصص للشرق في متحف الارميتاج . وبعد عمل صبور عنيد انجزت دراسة حول « المراحل الرئيسية لتطور الفن الاشوري من القرن التاسع حتى القرن السابع قبل الميلاد وعلاقة ذلك بالاثار الادبية . وقد انجزت هذا العمل تحت اشراف الاستاذ ب . بيوتروفسكي . ونالت شهادتها بدرجة ممتازة . وأشارت اللجنة الفاحصة الى امكانية نشر كراس علمي شعبي عن أشوريا بالاستناد الى مواد تلك الدراسة . وقد تم تعيين سفتلانا البالغة من العمر ٢٢ عاما استاذة في جامعة بتروزافودسك . وستكون أول عالمة بالحضارة الاشورية في جمهورية كاريليا ذات الحكم الذاتي .

وحضرت آلاكابلان موضوعة للشهادة عن لهجة الوثائق الحقوقية العائدة العهد الاشوري الوسيط (من القرن الخامس عشر حتى الحادي عشر قبل الميلاد) وأعلن العلماء الفاحصون بالاجماع انها دراسة مبتكرة **وأوصوا بنشرها .**

وهيأت لاريسا تشيبيروفا شهادتها بموضوع مكرس ل « طابع الحكم الملكي الاشوري في المرحلة الاخيرة » . وقد ذهبت الى توسك لتلتحق بزوجها وهو كيميائي ولنقل على الهامش انه انهى دراسته في جامعة لينينغراد ، وسوف تقوم بالتدريس في المعهد التربوي المحلي .

وكان فيليكس شاخوف منذ سنته الاولى في الجامعة محط الانتباه نظرا لمواهبه النادرة . وقد نسخ وكتب بمهارة فائقة الاحرف المسمارية الاكثر تعقيدا . وتمرن الشاب بصبر وجلد حتى اتقن هذه الموهبة واصبح بارعا في غاية البراعة . وقد أثارت اطروحته بعنوان « أحد عشر لوحا سومريا غير منشورة من مجموعة الارميتاج » اهتماما كبيرا بين العلماء . والالواح التي درسها العالم الشاب فقرأها ونقلها الى الورق تعود الى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد . وقد اكتشفت في مدينة أوما القديمة (المسماة اليوم محلة يوخا) وهي تتناول تسليم مؤن للرسل والسفراء الذين يقومون بمهمات للملك . وسوف تنشر دراسة فيليكس شاخوف في أحد اعداد المجلة الاكاديمية « منشرة في التاريخ

القديم » (ضمتنك دريفني ايستوري) • وثمة عمل شيق ينتظر العالم الشاب فهناك مئات الالواح من هذا النوع محفوظة في متحف الارميتاج • وعليه أن يدرسها ويهيأها للنشر •

أما أناتولي كيفيشين فهو أكبر من رفاقه في الدرس بخمس سنوات فقد بلغ ٢٧ عاما • ولديه خبرة واسعة بالحياة • لقد فقد يده اليمنى وهو ما يزال صغيرا • فبعد الحرب كان يعثر في حقول اوكرانيا من حين الى آخر بمتفجرات لم تنفجر كالالغام والقنابل • وفي أحد الايام اصطدم الصغير توليا بلغم • وبقي باعجوبة على قيد الحياة • وأخذ الولد بجلد وعناد أدهشا الكبار يمرن يده اليسرى بتكسير الحطب وغير ذلك من الاعمال الجسدية • وبعد ان انتهى ن المدرسة أخذ يدرس بالمراسلة في جامعة تشيرنوفتسي • • وكان ابويه معلمين ريفيين وسار الابن على خطى أهله • وبقي دة ستة أعوام يدرس في المدرسة التاريخ واللغة الالمانية مثابرا هو نفسه على الدرس • وبعد أن أنهى أناتولي دراسته في جامعة تشيرنوفتسي قرر أن يكرس نفسه لدراسة الحضارة الاشورية ، فمنذ صغره كان يؤانس فيه ميلا نحو الثقافة الاصيلة لدى الاشوريين والبابليين القدماء • ولما كانت الكتابة الاشورية البابلية بالخط السماوي لا تدرس الا في جامعة لينينغراد فقد ذهب كيفيشين عام ١٩٥٩ الى لينينغراد ليرى الاكاديمي ف • ستروفيه واطلعه على أمنيته الحارة •

فقال العالم : ساساعدك • ونفذ قوله فعلا • فقد قبل أناتولي في المدرسة وفي الحقيقة انه نظرا لحيازته سابقا على دراسة عالية فقد قبل رأسا في الصف الثالث •

ودلل أناتولي عن قدرة غريبة على العمل • ويكفي القول انه عندما كان يتهيأ لتقديم اطروحته شكل جرارا للفيش يحوى على ٤٠٠٠٠ فيشة • وقدم بالفعل دراسة مبتكرة وناضجة •

ووضع العالم الشاب نصب عينيه ان يحدد بالضبط تسلسل الحوادث التاريخي أيام حكم الامير السوميري على مدينة لاغاش (واسمها اليوم محلة تلو) الامير الشهير غوديا وأيام حكم أسلافه وأخلافه (في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد • ومن أجل ذلك درس آلاف الوثائق المتعلقة باقتصاد ذلك العهد السحيق وبالاستناد الى تلك الوثائق (وهي كلها مؤرخة) اعاد تصوير حياة العشرات من أهل البلاطات من مختلف المراتب • ان هذا العمل الضخم الدقيق قد أتاح تحديد تسلسل الحوادث التاريخي في ذلك القرن بدقة تبلغ أحيانا الحساب بالشهر الواحد •

شركة المغازل والمناسج المساهمة

تقدم أصدق التهاني للشعب العربي السوري

بمناسبة حلول العام الجديد ١٩٦٣

دمشق ✡ قابون ✡ الجمهورية العربة السورية

الغريب العابر

شعر : أحمد سليمان الأحمد

أمس ، على الاطياب دار طيبها ... فانذهلت وغمغمت أزاهر :

من أين يا غريب ؟! أي مسرح ... تفتحت عنك به الستائر ؟!

من نجمة الصباح ، وهي وردة ... شاحبة من طول ما تساهر !

من جبل نقية نجومه ... يغسلها جفن الصباح الماطر

رعيانه هاموا وراء زهرة ... تأوي لعين النجم أو تجاور ..

وكان لي عند الغدير موعد ... فازينت للموعد المناظر

وصور الربيع ملء أحرف ... تبوح فهي العيد والبشائر

فها هنا من المنى أجنحة ... وها هنا من الشذا غدائر

ونلتقي فللدجى محاجر ... تعب من أنوارها المحاجر

يحترق الفراش في مصباحنا ... مستسلما ، وتعبق المجامر

ونحن في جزيرة موحشة ... ليس بها الا الرؤى مسامر

وزورق ملقى على رمالها ... منتظر أن يرجع المسافر

ألق بنا في مجهل يلفه ... الطاغيان : الحب والاعاصر

ألق بنا ، ان المدى محتدم ... عبابه ، وانني مغامر

تسفر عن فتنتها شواطىء ... لاح لها ذاك الغريب العابر

مهرجان أبي فراس الحمداني في حمص

أبو فراس الحمداني • الامير الشاعر • ومن منا لا يعرف أبا فراس من منا لم يترنم بقصيدته الخالدة •

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

من منا اذا حز به أمر لم يردد قول أبي فراس — أقول وقد ناحت بقربي حمامة — هذا الشاعر الذي لولا المتنبي كان أول المقدمين في عالم الشعر —

اليس الذي قال عنه الصاحب بن عباد • بدئ الشعر بملك وختم بملك •

ويعني في ذلك امرىء القيس وأبا فراس •

وهو حقا من المقدمين في الشعر وأحد فحوله •

وجميل من المجلس الاعلى لرعاية الآداب أن يلتفت الى احياء ذكرى هذا الشاعر ولكن الاحداث التي مرت والعراقيل التي قامت حالت دون تحقيقه في حلب ومن حسن حظ مدينة حمص أن يكون الاديب العربي الكبير الاستاذ عبد المعين الملوحي مديرا لمركزها الثقافي •

فقد انبرى حفظه الله لاحياء ذكرى هذا الشاعر البطل وأقام له مهرجانا كبيرا غنى فيه الشاعر الكبير الاستاذ حامد حسن والاستاذ عبد الحفيظ السطلي والشاعر الغريد عبد الرحيم الحصني •

وقد تلاقى في هذا المهرجان الكبير نخبة طيبة من المسؤولين ورجال الفكر والادب فكان تحفة الموسم الثقافي لهذا العام •

وقد لا يتسع المجال لايفاء هذا المهرجان حقه في الوصف وحسبي أن اتحدث عن قصيدة الشاعر الحصني التي تعتبر قنبلة الموسم في دنيا الشعر هذا الشاعر المبدع الذي لست في حاجة الى اعادة ما قاله عنه الاستاذ حامد حسن في أحد أعداد مجلة الثقافة الغراء من تفجير لطاقة اللفظة العربية وحسن استخدامها وجرسها الموسيقي انه واحد من مدرسة بدوي الجبل •

لقد عشت مع هذا الشاعر الخلاق في جو قصيدته التي بدأها بمخاطبة حلب • تلك المدينة الخالدة التي قامت فيها أعظم امارة عربية في القرن الرابع •

لقد خاطبها الشاعر مستهلا رائعته بقوله :

يا مربع الخلد يا مهد المحبينا
هذي عطاياك أم هذي أمانينا

أي مربع هذا وأي مهد انه قطعة من الجنان الوارفة الظلال فيها قضى الشاعر طفولة هواه ومنها طلع على الدنيا هزارا شاديا •

لقد بعد عنها ولكن لا بد من لقاء وها هو اليوم يداعبها بشعره دعابة العاشق لمعشوقته •

لقد حلق الحصني في مداعبة حلب عندما تحدث عن الشعر والشعراء وكيف انه قطر مداحته من كرمة الوحي • ولا يقطف الشعر الا من دواليه •

ومن جديد الصور البلاغية ما أتى به

عيدان أقلامنا جبريل أحسنها
من سدرة المنتهى بريا وتكوينا
لولا وميض زكي من جوانحنا
ما كان في الدهر لا موسى ولا سينا

ثم يمضي ليصور لنا الشعراء وميزاتهم في الامة . فهم الذين ينفحون الناس بالخير والمحبة وهم الهادون الى المثل العليا في المجتمع .

ونراه يعرج على الشعراء المجددين وينحي باللائمة عليهم فليسو في رأيه الا جهلاء تاهو بما توحيه اليهم القشور الغربية دون الاكتراث بأدبهم العربي الاصيل .

فهو يشبههم بالحمل الوديع الذي يمشي الى المذبح مفتونا دون أن يعلم الى أين يسير .

وتبلغ به الطاقة الى حسن التخلص الجميل حيث ينقلنا الى جو أبي فراس بأبرع أسلوب وأروع انتقال .

طيف في الامس أهدانا بزورته
لونا من الانفة العصماء مكنونا

ويورد لنا آلام أبي فراس في أسرة وحنينه لاهله وهو في الاسر مشبها اياه بشبل جفا أهله قسرا بلا رغبة منه .

ثم يبرر أسرة باسلوب جميل مضمنا هذه الجملة الكريمة - بعض الشراهون من بعض - ويخلص من ذلك الى بيان ما لابي فراس من مواقف بطولية في الذود عن حياض وطنه الحبيب وحماية حدوده .

وهنا نراه يقدم لنا بيتين خالدين لابي فراس بين حنايا قصيدته الرائعة -

اذا مررت بواد جاش غاربه
فاعقل قلوصك وانزل ذاك وادينا

وان حللت بناد لا تطيف به
أهل السفاهة فاجلس ذاك نادينا

ثم يعود ويخاطب أبا فراس مبينا انه لم يقصد الشهباء الا لاحياء ذكراه ويقف وقفة خاشعة أمام عظمة الدولة الحمدانية مستعرضا مجدها معلنا وفاءه معاهدا على صيانة حبها -

ون خلال هذه الرسمات البديعة ينتقل شاعرنا الى معالجة ما تعانيه الامة العربية من نكبات بسبب التنازع على الحكم وحب القيادة داعيا الى وحدة الصف التي هي أمنية كل عربي ثم يذكر جراحات الامة العربية في نكبة فلسطين وبديع منه تلك الصرخة التي أطلقها بقوله - يا أمة شهدت من أمسها عظة - ففي هذا البيت براعة الاستثارة . فهو يسوق للسامع شريطا سينمائيا باستعراضه الاجاد العربية على هذا النحو الاخاذ عندما يتطرق الى ذكر اليرموك وحطين والاستشهاد بهما استشهادا رائعا .

وفي هذه الغمرة من النشوة ينقلنا الشاعر الى جوه الخاص مخاطبا حلب ما بال وارفة الاغصان تسألني - من أنت ياانازلا أحلى ملاهينا .

ومن يدري فلعل شاعرنا يضمر في المقطع البديع مالا نحيط به من ذكريات ونحن كل ما نعرفه عنه انه قطن حلب بحكم وظيفته منذ زمن بعيد .

ثم يعود الى مخاطبة حلب خطابا لعمري لم اسمع أرق منه في الشعر العربي :

يادار حمدان لم يهدأ لنا وتر - لنا من الود ايات النبينا
نواة ما أبدع الرحمن دولتنا - ورمز ما نضر الدنيا أيادينا

وبعد - فقد كانت هذه القصيدة قطعة نفيسة ودرة ثمينة في جيد الشعر العربي فيها الارج العباسي والالق الشامي . انها سلافة العصر لم نذق طعما كطعمها عند شعرائنا المعاصرين .

لقد عودنا الحصني حفظه الله أن نسكر بين حين وآخر ن دنان الهامة وليس هذا بعجيب فقد عرفناه محافظا على التراث العربي الاصيل محيطا بشوارد اللغة متمكنا من الاحاطة بأرشق التعابير .

فنسأل الله أن يمد بعمره فهو ولا شك ليس مفخرة لمدينة ابن الوليد وحدها بل مفخرة عالم الادب العربي في هذا العصر .

حمص - عبد الواحد السباعي